جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

ملخص مادة: مدخل إلى تاريخ الحضارة الإسلامية

المستوى: السنة الأولى جذع مشترك

التخصص: تاريخ (قديم)

الأستاذ: مرزوق نور الدين

المحاضرة الأولى: الحضارة العربية الإسلامية: تعريفها ومجالها الجغرافي والبشري

المحاضرة الثانية: مصادر الحضارة الإسلامية

المحاضرة الثالثة: الحواضر الكبرى للعالم الإسلامي

المحاضرة الرابعة: إشعاع الحضارة الإسلامية وإنجازاتها

المحاضرة الخامسة: الحضارة الإسلامية في الأندلس

المحاضرة السادسة: أسواق العرب

المحاضرة السابعة: أثر الحضارة الإسلامية على أوروبا

المحاضرة الأولى: الحضارة العربية الإسلامية: تعريفها ومجالها الجغرافي والبشري:

أ. تعريف الحضارة الإسلامية:

هي كل ما قدمه المجتمع الإسلامي للبشرية من قِيّم ومبادئ في الجوانب الروحية والأخلاقية؛ ومن منجزات واكتشافات واختراعات في الجوانب التنظيمية والتطبيقية. **(جواد عمراوي، دون تاريخ).**

ب. المجال الجغرافي والبشري للعالم الإسلامي:

انطلقت الحضارة العربية الإسلامية من شبه الجزيرة العربية (610 م) تاريخ نزول الوحي على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، لتمتد شرقا حتى أندونيسيا، وغربا حتى المغرب والأندلس وشمالا حتى القوقاز، وجنوبا حتى أواسط إفريقيا. **(أسماء ملكاوي، 2004)**

ويمتد العالم الإسلامي بين خط طول 18° غربا و 140° شرقا وبين دائرة عُرض 10° جنوب خط الاستواء وَ55 ° شمالا. وتبلغ مساحة العالم الإسلامي حوالي 32 مليون/ كم^2 أي ما يقارب ربع مساحة اليابسة (البالغة حوالي 149 مليون/ كم^2). **(أسماء ملكاوي، 2004)**

ويبلغ عدد الدول الأعضاء في منطقة العالم الإسلامي ستا وخمسين دولة تتوزع على أربع قارات، إلا أنها تتركز أساسا في قارتي إفريقيا وآسيا حيث يوجد في الأولى 26 دولة وفي الثانية 27، إضافة إلى دولتين في أمريكا الجنوبية (سورينام وغويانا) وواحدة في أوروبا (ألبانيا). أما بشريا، فيبلغ عدد سكان العالم الإسلامي حوالي ملياري نسمة (2022)، ويشكلون 25 % من مجموع سكان العالم (البالغ حوالي ستة مليارات نسمة). **(أسماء ملكاوي، 2004)**

المحاضرة الثانية: مصادر الحضارة الإسلامية:

أ. القرآن الكريم: القرآن الكريم كتاب الله المُنْزَّل على رسوله محمد، والمنقول إلينا بالتواتر، وقد يعرف بأنه "كلام الله المُعْجِز". **(شويخات، حرف الشين، الشريعة).** هو الكتاب السماوي الذي عليه تُدار حياة المسلمين؛ إذْ تضمن مبادءهم وقوانينهم وضوابط سلوكهم، فشيدوا حضارتهم في إطاره ووجد المسلمون فيه ما يحتاجونه لتنظيم دولتهم ولتسيير مجتمعهم. **(مؤلف مجهول، مصادر الحضارة الإسلامية، د.ت)**

فالقرآن يرسم للإنسان طريق حياته ويكرمه على سائر الخلق فهو مستخلف في الأرض لعمارتها، وهو أمين على الدين يهتدي به ويدعو غيره إليه قولا واقتداء. وبعد اكتمال الدين، والتحاق النبي بالرفيق الأعلى، واصل صحابته وتابعوهم تطبيق مبادئ القرآن في جزيرة العرب وخارجها، لإثبات صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان. ولهذا تميزت الحضارة الإسلامية بأنها ظلت قرونا طوالا تستقي من هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تستوحي منه كافة إبداعاتها. **(مؤلف مجهول، مصادر الحضارة الإسلامية، د.ت)**

ب. السنة النبوية: أما السُنّة فهي ما صدر عن رسول الله، من قول أو فعل أو تقرير أو سكوت سوى القرآن. **(شويخات، حرف الشين، الشريعة).** لقد علم النبي صلى الله عليه وسلم صحابته تعاليم الإسلام فكانت تفاصيل أقواله وأفعاله بؤرة اهتمامهم كيف لا وهو المعصوم من الخطأ أصلا؟ وبالتالي فهو مثل كلام الله مصدر من مصادر الحقيقة المطلقة (وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يوحى). بل إن القرآن قد نص على ضرورة أتباعه (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا). ومن ثم، حرص الصحابة على تذاكره فيما بينهم والتذكير به، بل إن بعضهم قام بتدوين الحديث النبوي دونما تأليف حتى نهاية القرن الهجري الأول، ليتنافس التابعون وأتباعهم من أئمة المسلمين في تأليف كتب الحديث وجمعها مظَّانِها (مكان تواجدها) وغربلتها بمقاييس علمية دقيقة، حتى يسير كل مسلم على هَدْي نبوي ثابت وواضح وكذلك كانت حضارة المسلمين. **(مؤلف مجهول، مصادر الحضارة الإسلامية، د.ت)**

هذا ولم يَرَ المسلمون بأسا من الأخذ عمَّن أسلم من غير العرب، وحتى عمن لم يسلم من الذين تعايشوا مع أهل الإسلام، وأنتجوا معا تلك الحضارة التي تسمى؛ "الإسلامية". كيف لا ونبيهم كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما ليس فيه وحي من الله، بل أن الله أمر بمحادثتهم بأحسن الطرق (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)، فاقتبس المسلمون من غيرهم في مجالات واسعة ونافعة، بل أنهم أعطوا الفرصة لغير المسلمين كي يسهموا معهم في بناء هذه الحضارة، فنجدهم جنبا إلى جنب في الطب والترجمة. وحظي غير المسلمين بالمكانة الرفيعة لدى الدول الإسلامية المتعاقبة. وإذا كانت الحضارة الإسلامية تتفق مع غيرها من الحضارات في كثير من المصادر، فإنها مع ذلك تتميز بأصالتها في مصدريها الرئيسيين والخاصين بها؛ وهما القران والسنة. **(مؤلف مجهول، مصادر الحضارة الإسلامية، د.ت)**

جـ. المصادر المكتوبة: تتضمن ما أنتجته حضارة المسلمين من مؤلفات **الكُتَّاب الأقدمين ومخطوطات ووثائق رسمية** في **الأرشيفات**، وكذا **الرسائل والاتفاقيات** وحتى أوراق **البَرْدي** التي تكتشف من حين لآخر ... وكلها تعد أصولا لدراسة النظم المختلفة لهذه الحضارة. ولكن بعضها مُعَرَّض للتلف أو أتلف فعلا عبر تقلبات التاريخ عن قصد أو غير قصد. فالبرديات المصرية، التي ترجع للقرون الهجرية الأولى، تآكلت بالإهمال أو الحروق، واهتم المستشرقون بما تبقى منها فوجدوا فيها معلومات دقيقة عن حياة المجتمع لا تكاد تجدها في الكتب... أما التأليف، فقد تصاعدت وتيرته مع منتصف القرن الثاني الهجري، وكتب المسلمون وأبدعوا في مختلف المجالات (دين، لغة، علوم ...). وقد حرص كثير من المؤلفين أن يكونوا موسوعيين، بل ركز آخرون في تخصصات دقيقة وأنتجوا فيها نتائج باهرة، ويكفي أن تعرف أن أسس النهضة الأوربية تقوم على أفكار المسلمين وتجاربهم في العلوم المختلفة؛ وما تركه ابن سينا وابن رشد وابن الهيثم وابن النفيس والخوارزمي وابن خلدون ... وغيرهم كاف لإثبات ذلك. أما في مجالات التباري في فنون الشعر والتباهي في أنواع الخط العربي، فهي لا تحصى من إبداعات تخص هذه الحضارة بالذات. **(مؤلف مجهول، مصادر الحضارة الإسلامية، د.ت)**

د. المصادر الأثرية: هي كل ما تركه المسلمون من آثار غير مكتوبة مثل **المدن** و**المساجد** و**القلاع** و**الطِّراز** (الكِسْوة السلطانية) و**العملات** وصناعة **الأسلحة** ... وغيرها، مما يساعد على دراسة حضارتهم التي ما تزال آثارها شامخة تدل عليها انطلاقا من الهند إلى الأندلس مرورا والمشرق بالمغرب، وما في المتاحف العالمية من آثار أخرى تدل على زخم الحياة الإسلامية في العصور الوسطى. **(مؤلف مجهول، مصادر الحضارة الإسلامية، د.ت)**

فالمساجد هي المَحَاوِر التي تأسست حولها بعض المدن مثل فسطاط مصر. وبسبب المساجد تحولت بعض المدن القديمة إلى رموز إسلامية كدمشق بعد فتحها. و تُعِيننا كل آثار مدائن العالم الإسلامي على فهم حضارتها كالأسوار والمكتبات والأسواق والبيمارستانات (المستشفيات) والحمامات والحدائق ... أما العملات فإنها تعكس المستوى الاقتصادي للدولة والمعيشي للمجتمع، وما ينقش فيها يتضمن ألقاب حكام تلك العصور وتلك الأقاليم وربما مذاهبهم الدينية وقد تُصحّح بها بعض المعلومات وتؤكد بعضها الآخر، وتصل بعض العملات إلى مناطق بعيدة وكذلك الأمر بالنسبة للطراز والأعلام (وهي الرايات الحربية) وما يكتب فيها. **(مؤلف مجهول، مصادر الحضارة الإسلامية: د.ت)**

المحاضرة الثالثة: الحواضر الكبرى للعالم الإسلامي:

أ. في المشرق الإسلامي:

1. سَمَرْقَنْدْ:

أصل كلمة سَمَرْقَنْدْ هو "شمر أبو كرب" ثم حرفت إلى "شمركنت" ثم سَمَرْقَنْدْ (= وجه الأرض). ثاني كبريات مدن أوزباكستان. **(أحمد المنياوي 2010: ص،220)** تعتبر مركزا تعليميا هاما. تقع مكان "ماراكاندا" القديمة التي دمرها الإسكندر(329 ق.م). فتحها المسلمون في القرن 8 م على يد القائد الأموي قُتَيْبة بن مسلم. **(المنجد في اللغة 1984: ص، 278)**. دمرها جنكيزخان (1229 م). **(المنجد في اللغة 1984: ص، 365 ، 445)** واختارها القائد المغولي "تيمورلنك" في القرن 14 م عاصمة له وفيها قبره. تضم مكاتب سَمَرْقَند نفائس المخطوطات الإسلامية. وقد أسدى مشاهيرها خدمات جليلة للإسلام واشتهرت منهم جماعة في العلوم الإسلامية منهم: المُحَدِّث أبو الليث السمرقندي ذي الباع المستطيل في التفسير الذي كتب "تنبيه الغافلين في المواعظ والحِكَم". **(شويخات 2004: حرف السين؛ سمرقند)** والمُحَدِّث الدَّارِمي (أبو محمد عبد الله التميمي السمرقندي) الذي ألف المُسند (المعروف بـ: سنن الدَّارِمي) و"الجامع الصحيح"، وهو أستاذ الحافِظَين: مسلم وأبي داوود والترميذي والنسائي، فضلا عن الطبيب نجيب الدين أبو حامد السمرقندي الذي ألف كتابا في الطب أسماه "الأسباب والعلامات"**.(المنجد في اللغة 1984: ص، 278، 365).**

2. بُخارَى:

مدينة قديمة أوزباكستان فتحها المسلمون بقيادة قُتَيْبة بن مسلم (87 هـ) في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي. يقول عنها الإمام القزويني: "كانت دائما مجمع الفقهاء وموطن الفضلاء ومنشأ علوم النظر، وأكثر سكانها ينحدرون من نسل عمر بن عبد العزيز، وقد توارثوا تربية العلم والعلماء كابرا عن كابر، ولم تُرَ مدينة كان أهلها أشد احتراما لأهل العلم من مدينة بُخارى". ينتمي إليها إمام المُحَدِّثين صاحب **الجامع الصحيح** الإمام البخاري، وابن سينا صاحب الفكر الموسوعي الشهير وغيرهما. **(شويخات 2004: حرف الباء؛ بُخارى)**

3. دلهي:

مدينة في الهند قديمة العهد احتلها المسلمون في القرن 12 م وجعلوا منها عاصمة سلطنة دَهْلِي. دمرها تيمورلنك (1398 م). أعاد "شاه جيهان" بناءها (1639م) وجعل منها عاصمة إمبراطوريته. احتلها الإيرانيون (1739 م) ثم الأفغان (1756م) ثم الإنغليز. عاصمة الهند من سنة 1911م حتى بناء نيودلهي بالقرب منها سنة 1930م. **(المنجد في اللغة 1984: ص، 287)**. وإذا كانت البصرة، منذ أوائل القرن 11 م، أكبر مركز مصرفي للخلافة الإسلامية، فإن دلهي أصبحت، منذ منتصف القرن 13 م، حي المال لذلك العصر. **(يحياوي د.ت: ص، 74)**. وتضم دلهي أجمل المعالم والنُّصب التذكارية مثل؛ برج قُطب منار (بُني عام 1199 م) ذكرى انتصار المسلمين وقد استخدم مئذنة لمئات السنين. وكذا "القلعة الحمراء" وكانت مقاما لأباطرة المغول وسفراء الدول الأجنبية،

ومسجد **جاما** (المسجد الجامع) الذي يعتبر أكبر مسجد في الهند كلها وقد شادهما "شاه جيهان" في القرن 17 م. **(شويخات 2004: حرف الدال؛ دلهي).**

4. هَمَذَان:

وينطقها البعض همدان. مدينة تاريخية قديمة ومن أهم مدن الإسلام في إيران. فتحها المسلمون (23 هـ) في عهد عمر بن الخطاب بقيادة المُغيرة بن شعبة وقيل جرير بن عبد الله البجلي. وكانت قبل الإسلام تسمى "إكباتانا" في عصر الميديين الذين اتخذوا منها عاصمة لدولتهم، ثم سقطت في يد الدولة الساسانية. إلى هَمَذَان ينتسب بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات الأدبية المعروفة، وابن خالويه الإمام النحوي اللغوي والمقرئ والمفسر... وغيرهما. **(شويخات 2004: حرف الهاء؛ همذان).**

5. نَيْسَابور:

مدينة إيرانية قديمة تقع ناحية الشمال الشرقي للبلاد. كانت، في القديم، عاصمة خُراسان (منطقة إيرانية جنوب شرق بحر قزوين) . فتحها المسلمون (31 هـ) زمن عثمان بن عفان. وقيل في أيام عمر بن الخطاب على يد الأحنف بن قيس. ينتمي إليها رجال من أهل العلم والفقه منهم الإمام مسلم بن الحجّاج صاحب **الصحيح** في الحديث، والشاعر والرياضي والفيلسوف عمر الخيّام، والجوهري النيسابوري صاحب كتاب **صِحاح الفقه**، والميداني صاحب كتاب **مجْمع الأمثال**. **(شويخات 2004: حرف النون؛ نيسابور).**

6. بغداد:

عاش السكان فيما يعرف الآن باسم منطقة بغداد منذ حوالي سنة 4000 ق.م. وشكلت جزء من بابل القديمة، ومن القرن 5 ق.م إلى القرن 7 م سيطر الفرس والإغريق والرومان على المنطقة. كانت بغداد قرية صغيرة سنة 752 م عندما أنشأ أبو جعفر المنصور المراكز الرئيسية للخلافة العباسية قريبا منها عام 762 م، ووصلت بغداد إلى عصرها الذهبي زمن الخليفة هارون الرشيد وصارت مركزا عالميا للعلم والثقافة. في عام 1258 م دمر المغول بقيادة هولاكو ومن بعده تيمورلنك معظم بغداد. وسيطر المغول والفرس ثم الأتراك على بغداد (1638 م)، عندما أصبحت جزءا من الدولة العثمانية. **(شويخات 2004: حرف الباء؛ بغداد).**

7. البَصْرة:

مدينة قديمة جنوبي العراق بالقرب من التقاء نهري دجلة والفرات. شيدها عُتْبة بن غَزْوان في عهد عمر ابن الخطاب (14 هـ). وكان قصد عمر ابن الخطاب أن يتخذ للمسلمين مدينة يُشتُّون فيها ويستريحون من غزواتهم في بلاد فارس. وقيل أن سبب تسميتها بالبصرة؛ هو أن عُتْبة بن غَزْوان كتب إلى الخليفة عمر يستأذنه في تمصيرها ووصفها له بقوله:" أرى أرضا كثيرة القضة (صغار الحصى) في طرف البر إلى الريف ودونها مَنَاقِع فيها ماء وفيها قصباء". فقال عمر:" هذه أرض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمُحْتَطَب". ومعنى البصرة في اللغة العربية الأرض ذات الحجارة الصلبة. **(شويخات 2004: حرف الباء؛ البصرة)**

شهدت البصرة "وَقْعَة الجمل" (35 هـ). وفي 75 هـ، دخلت في ولاية الحجّاج بن يوسف الثقفي، ثم في ولاية يزيد بن المُهَلَّب بن أبي صُفرة (101 هـ). وكانت في تلك الحروب قد خُرِّبَت وأنشئت، في القرن 14 م، في مكان يبعد عن مركزها الأول بـ: 14 كم. وقد كانت البصرة من أشهر المدن وأكثرها أدبا وعلما وتجارة، ولاسيما في أيام العباسيين الذين شادوا فيها الأبنية الجميلة، وكانت بعد بغداد أهميةً. للبصرة دور كبير في تاريخ الحضارة الإسلامية. فقد كانت مساجدها ومدارسها تعج بحركة العلماء والفقهاء والأدباء. وخرج منها فطاحل علماء وفقهاء المسلمين. اشتهرت بأئمة المعتزلة وبمدرسة **إخوان الصفا**. دعيت البصرة "قبة الإسلام" وكانت تناظر الكوفة في المذاهب العربية وهو أمر مشهور في كتب النُّحاة. تحتوي البصرة على كثير من مشاهد الصحابة رضي الله عنهم (مشهد طلحة بن عبيد الله ومشهد الزبير ابن العوام)؛ وقبورهم (قبر أنس ابن مالك وقبر حسن البصري وقبور الصحابة الذين استشهدوا في "موقعة الجمل")، وكذا قبر حليمة السعدية مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم.**(شويخات 2004: حرف الباء؛ البصرة)**

8. الكُوفة:

مدينة قديمة في العراق. كانت أول عاصمة إسلامية بعد خروج الخلافة من المدينة المنورة في عهد علي ابن

أبي طالب. اختط المدينة وأسسها سعد بن أبي وقاص (17 هـ)، وكان المسلمون قد شادوا البَصْرة قبلها. ظلت الكوفة مركزا من مراكز الثقافة في كافة فروع العلم في القرنين الثاني والثالث الهجريين. نشطت الحركة الفكرية في الكوفة جنبا إلى جنب مع البصرة، فكانت ملتقى علماء اللغة والنحو وإحدى مدرستين أو مذهبين في هذا المجال عرفت بمدرسة الكوفة. وكانت من المدن التي اتخذتها الدولة الإسلامية مراكز جديدة تقيم فيها حاميات عسكرية لحماية حدود الدولة، تطورت هذه المدن، بعد ذلك، وباتت مراكز حضارية ومواطن لحياة مدنية نشيطة. نزل فيها عدد كبير من الصحابة أبرزهم؛ عبد الله ابن مسعود وعلقمة والأسود والحارث بن قيس وسعيد بن جبير ... وغيرهم. من أشهر معالمها جامعها الكبير.**(شويخات 2004: حرف الكاف؛ الكوفة).**

9. دمشق:

تدعى "الشام" أيضا. تقع على ملتقى الطرق العسكرية والسُّبل التجارية القديمة، وقد ورد ذكرها في الكتابات الفرعونية والآشورية والكتاب المقدس. سكنها الآراميون وجعلوها عاصمة لمملكتهم (940 ق.م) خضعت للاحتلال الآشوري والبابلي والفارسي واليوناني والروماني. فتحها المسلمون (635 م) ، وجعلها الأمويون عاصمة لهم فعرفت عصرها الذهبي. تقهقرت زمن العباسيين. حكمها الطولونيون والإخشيديون والفاطميون. حَصَّنها "نورالدين زنكي" في وجه الصليبيين. خربها المغول (1260 م ثم 1300 م). أحرقها تيمولنك (1400 م). احتلها السلطان العثماني سليم الأول (1516م). وعادت إلى عزّها في حكم اسعد باشا العَظْم (1749 م). احتلها المصريون بين 1832 و1840م. فيها دار الكتب الظاهرية والمَجْمَع العلمي العربي وما يزيد عن 250 جامعا أهمها الجامع الأموي. من بناياتها الأثرية: قبر معاوية ابن أبي سفيان وضريح صلاح الدين الأيوبي

وبيت (كنيسة) القديس حَنَانْيَا وقصر العظْم والتَّكية السليمانية (مُنْشأة عثمانية كبيرة تضم مسجدا ومتحفا وسوقا للمهن اليدوية والتراث ومدرسة). **(المنجد في اللغة: 1984 ص، 287)**

10. الفُسطاط:

عاصمة الدِّيَار المصرية القديمة يوم أن فتحها عمرو بن العاص زمن عمر بن الخطاب. تقع بين النيل وجبل المُقَطَّم **(أحمد المنياوي: 2010 ص، 232)**. وهي اليوم إحدى أحياء مدينة القاهرة. بها جامع عمرو بن العاص الذي صار من أكبر جوامع مصر**(شويخات 2004: حرف الفاء؛ الفسطاط)**. قيل أن الفِسطاط كلمة فارسية عربيُّها: بيت من شعر. **(المنجد في اللغة 1984: ص، 583)** وقيل أن "فُسطاط" يونانية معناها المدينة العسكرية. حيث اقتبسها العرب المسلمون لمدينتهم الجديدة في مصر. وقد ظلت عاصمة للخلافة في مصر بعد أن اختارها عمرو بن العاص واخْتَطَّها (643 م). **(شويخات 2004: حرف الفاء؛ الفسطاط)**. قيل أنه اختارها، بدلا من الإسكندرية، **أحمد المنياوي: 2010 ص، 232)**. بناء على توجيهات عمر بن الخطاب الذي رفض أن يحول بينه وبين المسلمين في مصر ماء. فتحوَّل عمرو إلى الفُسطاط وبنى بها مسجده الشهير ودفن بجواره مع بعض الصحابة. وظلت الفسطاط مزدهرة ومحط أنظار الخلفاء حتى انهارت تماما في عهد المماليك، وحلت القاهرة محلها بوصفها مركزا اقتصاديا وإداريا جديدا. **(شويخات 2004: حرف الفاء؛ الفسطاط)**.

11. القاهرة:

بنيت القاهرة الحديثة قرب موقع مدينة ممفيس أول عاصمة لمصر القديمة. وعندما دخل العرب مصر (642 م)، أقام الجيش العربي معسكرا لها جنوبي موقع القاهرة الحالي، حث شيدوا بجواره العديد من المساكن والمساجد (أولها وأكبرها مسجد عمرو بن العاص) والقصور وهي النطاق العمراني الذي عرف بمدينة الفُسطاط أول عاصمة إسلامية لمصر. وعندما سيطر الفاطميون على مصر(969 م)، بنى القائد "جوهر الصقلي" القاهرة شمالي أول موقع استقر فيه العرب وهو الفُسطاط لتكون عاصمة البلاد. **(شويخات 2004: حرف القاف؛ القاهرة)**.

ويُظنُّ أنها سميت بالقاهرة نسبة إلى "نجم القاهر" الذي ظهر في السماء عندما بُدِئ في تشييد المدينة. وتلا

ذلك تشييد الفاطميين للجامع الأزهر الشريف الذي بات أمل الراغبين في دراسة العلوم الإسلامية من كافة دول العالم الإسلامي. ووسّع صلاح الدين الأيوبي، مؤسس الدولة الأيوبية في مصر (1171م- 1250م)، من النطاق العمراني للقاهرة، وشاد قلعته "قلعة صلاح الدين الأيوبي". وقد سع المماليك (1250-1517م) عمران القاهرة مجددا، وشيدوا فيها القصور والمساكن الفاخرة والمساجد الجميلة لا يزال بعضها باق حتى الآن. وتركت فترة الحكم التركي لمصر (1517-1882م) بصماتها في بعض مساكن المدينة، إضافة إلى مسجد محمد علي باشا المبني على طُرُز المباني التركية. **(شويخات 2004: حرف القاف؛ القاهرة)**.

ب. في المغرب الإسلامي:

1. القيروان:

أولى المدن الإسلامية التي شيدت في المغرب العربي منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا (50 هـ/ 670 م) حين اختارها عقبة ابن نافع مكانا استراتيجيا بعيدا عن الشواطئ التي يهددها البيزنطيون، وبعيدا عن الجبال التي يتحصن بها البربر. وقد أرادها عقبة أن تكون قاعدة أعماله الحربية ومخزنا لمؤنه ومعسكرا لجند الإسلام. ومن هنا كانت تسمية القيروان وهي معربة من "كاراوان" الفارسية وتعني المعسكر. ويقال أن القيروان شيدت على أنقاض مدينة حمودة أو قمونية الرومانية. ويقال أيضا أن الذي سبق عقبة ابن نافع إلى موضع القيروان، هو أميره معاوية بن حُديج. ولئن أنشئت القيروان لتكون معسكرا للجيوش، فقد تطورت لتصبح موقع إشعاع حضاري إسلامي بالمغرب. وقد تعرضت لعمليات نهب قام بها الخوارج بين 758م و 761 م، لكنه سرعان ما استتب أمنها على يد الأمراء الأغالبة في نهاية القرن 8 م. **(شويخات 2004: حرف الفاف؛ قيروان).**

أصبحت القيروان عاصمة الأغالبة؛ فازدهر العلم والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية واستحدثوا معاهد علم أشهرها بيت الحكمة، وكذا المرصد الفلكي الذي بناه المأمون، وشيدوا أعظم معالمها التي تعد مفخرة القيروان؛ من ذلك الفِسْقية الأغلبية (حوض مائي كبير)، وبئر بَرْوَطَة (ناعورة مائية يديرها جمل موقوف على البئر وهو معصوب العينتين مخافة الدوار أو الزُّوار). تضم القيروان كثيرا من الآثار أهمها؛ رقّادة (مدينة الأغالبة الثانية) التي أصبحت قرية أثرية استغل احد قصورها ليكون معهدا للدراسات الإسلامية، فيه كانت تُوَثَّق المخطوطات التي نقلت إليه من جامع عقبة ابن نافع، أهمها جزء من تفسير يحي بن سلام البصري (أقدم تفسير معروف للقرآن). ويوجد بالقيروان خمسين مسجدا أشهرها مسجد عقبة ابن نافع لقدمه سمي "سيد المساجد المغربية"، وبها أيضا مقام الصحابي أبي زَمْعة البلوي. **(شويخات 2004: حرف الفاف؛ قيروان).**

2. تِلِمْسان:

من أعرق المدن الجزائرية التي شيدت في العهد الإسلامي لتكون مقرا للعرب في بلاد المغرب ومركزا للإشعاع الإسلامي ومنارا للفكر والعلم. وتشكل تِلِمْسان مُتحفا أثريا مفتوحا يزخر بتراث أثري مهم تنامى عبر مسار تاريخها الطويل. عرفت، بفضل موقعها الإستراتيجي، نشأة حضارات تعود إلى العصر الحجري، وقبل أن تتهيأ تلمسان لدورها المهم في تقدم العمران وانتشار الحضارة العربية الإسلامية، كانت في عهدها الأول تجمعا سكانيا اتخذه الرومان مستعمرة ومركزا عسكريا لحراسة طرق القوافل التجارية والعسكرية وأسموها "بوماريا" أي مدينة البساتين. عندما جاءت طلائع الفتح الإسلامي أصبح اسمها "أقادير" ومعناها المدينة المُحَصَّنة. وفي أواخر القرن 11 م، **(شويخات 2004: حرف التاء؛ تلمسان).** سيطر المرابطون (1081م-1144م) على "أقادير" وأسسوا فيها "المسجد الكبير"، وأقام يوسف بن تاشفين معسكره في غربيْها في مكان يسمى "تاقرارت"؛ ويعني المَحَلَّة، التي ما لبثت أن التحمت مع أقادير وكونت مدينة تلمسان. وجعلها بنو عبد الواد، لاحقا، عاصمة المغرب الأوسط لأكثر من ثلاثة قرون (13م- 16م) **(المنجد في اللغة 1984: ص، 192).** وقد عاشت تلمسان عصرها الذهبي في ظل الحضارة العربية الإسلامية، فكانت مركز العلوم الفقهية والكلامية ومدينة زاخرة بالفكر والعمران وسوقا تجارية متميزة حتى سماها المؤرخون "غرناطة إفريقيا" و"جوهرة المغرب". تدهورت زمن العثمانيين ثم احتلها

الفرنسيون (1836م)، فخربوا العديد من آثارها لتجريدها من أصالتها ومحو رموز الحضارة الإسلامية بها. **(شويخات 2004: حرف التاء؛ تلمسان).**

3. مَرَّاكُش:

واحدة من العواصم القديمة للمغرب الأقصى. أسست سنة (452 هـ/ 1062 م)، بأمر من السلطان "يوسف بن تاشفين" سلطان المرابطين بطل معركة الزلاقة في الأندلس. وقد بلغت مراكش ذُرْوة عِزِّها في القرن الخامس عشر الميلادي ثم تدهورت بشدة في العصور اللاحقة. لا تزال تحتفظ بأسوارها التي تطوق المدينة القديمة، كما تشتهر مبانيها الأثرية بقصورها ومساجدها خاصة جامع أو مئذنة "الكُتُبية". **(شويخات 2004: حرف الميم؛ مراكش).**تقع على نهر "تانسيفت" في سفح الأطلس الأعلى، فقدت كثير من أهميتها في أيام المرينيين الذين أهملوها في القرنين (13 و14م). وتشتهر مَرَّاكُش بمدافن الملوك السعديين الذين كانوا قد جعلوها عاصمة لهم في القرن 16 م. **(المنجد في اللغة 1984: ص، 192)**

4. فاس:

تشتهر فاس بكونها مركزا دينيا وثقافيا بالمغرب وواحدة من عواصمه القديمة. وقد ظلت عاصمة للبلاد قرونا حتى عام 1331هـ (1912 م). بهذه المدينة مسجد "مولاي إدريس" وبه ضريحه، وتتباهى أيضا بجامعة (جامع) القرويين التي أنشئت عام (245هـ/ 859 م) وتعد واحدة من أعرق جامعات العالم. **(شويخات 2004: حرف الفاء؛ فاس).**

وقد شيدت مدينة فاس سنة (193 هـ/808م) بوساطة إدريس بن عبد الله (الثاني) الحاكم الموري المغربي التي اتخذها عاصمة له. **(شويخات 2004: حرف الفاء؛ فاس).**

خضعت لأمويِّ الأندلس بين 980 م و 1012م، ثم احتلها بربر زناتة حتى مجيء المرابطين واستيلاء يوسف بن تاشفين عليها (1069 م) فازدهرت في أيامهم. ثم وقعت بيد الموحدين (1145 م) بعد حصار طويل. انتقلت إلى المرينيين فجعلوها عاصمة لهم في القرنين 13 وَ 14 م، ثم استولى عليها السعديون (1549م) ثم الوطاسيون (1554 م)، ثم احتلها العلويون (الفلاليون) بقيادة مولاي الرشيد (1666م) ونقل خلَفه وأخوه إسماعيل العاصمة إلى مكناس. تدهورت فاس في القرن 17 م عندما بنى السلطان إسماعيل قصره في مكناس، ثم تراجع دورها إثر غزو الفرنسيين المغرب. أهم آثارها: مدرسة "أبو عنان" ومدرسة "العطارين" وجامع القرويين. **(المنجد في اللغة: 1984 ص، 517)**

ج. في الأندلس الإسلامية:

1. غرناطة: (Granada)

مدينة في الجنوب الشرقي من اسبانيا فيها قصر وقلعة الحمراء (رائعة الأندلس) [مكون من ثلاثة عشر برجا مميزا وساحة الأسود والنافورة الساحرة]. شيّد المسلمون غرناطة في سنة 750 م. وقد كانت مركزا حضاريا كبيرا ومعقلا للتراث والثقافة الإسلامية. احتلها المرابطون(1090 م) ، ثم صارت في سنة 1238 م(في عصر سلالة بني الأحمر) مملكة مستقلة واتخذها محمد بن نصر

مؤسس هذه السلالة عاصمة له، فاستمرت قاعدة هذه الدولة ومركزا حضاريا وثقافيا لامعا لغاية سقوطها. علما بأنها كانت، في عام (897 هـ/1492 م)، آخر المعاقل الإسلامية في أوروبا، عندما احتلتها جيوش النصارى بقيادة الزوجيْن الملقبيْن بـ:"الكاثولكييْن"؛ فرديناند الخامس (ملك آراغون) وإيزابيلا الأولى (ملكة قشتالة) وقضت على سلالة بين الأحمر، مستغلة الخلافات والمعارك التي نشبت بين حكام المسلمين

أنفسهم. **(شويخات 2004: حرف الغين؛ غرناطة).(المنجد في اللغة: 1984 ص، 505)**

*** طُلَيْطِلَة: (**Toledo**)**

مدينة اسبانية تقع على هضبة عالية تبعد 65 كم جنوب غربي مدريد. بها كثير من المباني التاريخية. وقد أعلنت حكومة إسبانيا المدينة بِرُمَّتِها تراثا قوميا. يظهر على الفن المعماري لطُلَيْطِلَة التأثير الإسلامي الكبير نتيجة حضور المسلمين القوي في هذه المدينة التي حكموها حقبة طويلة؛ فقد فتحوها عام 712 م (وقيل 714م عن طريق طارق بن زياد) وازدهرت الفنون والعلوم في عهدهم ازدهارا كبيرا، لكن آلفونسو السادس ملك ليون وقشتالة استولى على طليطلة في عام 1085 م وجعلها عاصمة له.**(شويخات 1984: حرف الطاء؛ طليطلة). (المنجد في اللغة 1984 ص،505)**

2. قُرطُبة: (Cordoue)

مدينة أندلسية في اسبانيا أسسها الفينيقيون ثم احتلها الرومان (206 ق.م)، وقد بلغت ذروة أهميتها في القرن 10 م، حيث كانت مركزا شهيرا للفن والثقافة الأندلسية. وعلى أية حال، فقد كانت قرطبة عاصمة الأندلس قبل دخولها من قبل المسلمين، وكان بنو أمية سنة 756 م ومن بعدهم قد اتخذوا قُرطُبة عاصمة للمسلمين في الأندلس، حيث كانت أم المدائن ومستقر الخلافة. وقد استعادها فرديناند الثالث من المسلمين في عام 1236 م، بَيْد أن آثار المسلمين لا تزال باقية فيها حتى الآن، وأشهرها جامع قرطبة الشهير وقصر الزهراء. ويُشار إلى أنه من قرطبة وصلت علوم الإسلام إلى أوروبا، لأنها كانت منارة الفكر خلال العصور الوسطى الأوروبية، وفيها ولد سينيكا والفيلسوف ابن رشد. **(شويخات 2006: حرف القاف؛ قرطبة). (المنجد في اللغة 1984 ص،547)**

3. اشبيلية: (Seville)

واحدة من المدارس الرائدة في الفن الإسباني والأدب والتعليم. فتحها المسلمون (94 هـ /712 م)، فبلغت في ظلهم أوج ازدهارها وكانت مقر إمارة مستقلة تحت حكم بني عبّاد (1023- 1091م). ثم ازدهرت مركزا تجاريا وثقافيا أيام دولتي المرابطين (1056-1147 م) والموحدين (1130-1269 م). وتميزت أشبيلية بمكانتها في تاريخ العلوم العربية والإسلامية؛ فقد كان لعلمائها إسهام بارز في علوم الدين واللغة والفلك والحساب والطب وغيره. ومن أبرزهم علي بن مؤمن المشهور بـ:"ابن عصفور الاشبيلي" وهو حامل لواء العربية في الأندلس؛ ومنهم أيضا أبو بكر محمد خلف الاشبيلي صاحب التصانيف في اللغة والفقه، والرُّعيني الأديب الكاتب صاحب المصنفات في الأدب واللغة، وابن خير الاشبيلي صاحب الفَهْرَسَة وغيرهم. وابن عبد الحق المشهور بابن الخرَّاط. **(شويخات 2004: حرف الألف؛ اشبيلية).**

ظلت اشبيلية منارة فكر إسلامية، إلى أن سيطر عليها فرديناند الثالث حاكم قشتالة عام (646 هـ/ 1248 م)، بعد حصار طويل واتخذها مقرا له. ولد فيها اثنان من رسامي اسبانيا هما: دييغو فيلاسكيز وبارتولومي موريللو. كما أن أوبرا "كرمين" و"حلاق اشبيليا" الشهيرتين، اتخذتا المدينة خلفية لهما. وحسب الأسطورة فإن الـ: "دون خوان" عاش في اشبيليا. ويرجع تاريخ تأسيس جامعة اشبيلية إلى سنة 1502 م. **(شويخات 2004: حرف الألف؛ اشبيلية).**

كانت المدينة محاطة بسور عظيم ذي أربع وستين برجا مازالت بقاياها قائمة. وقد عاش البربر في اشبيليا لمئات من السنين، وقد ظهرت آثارهم في تصميم المدينة ذات الشوارع الضيقة المُظلَّلة، والمنازل البيضاء ذات المشارف المبنية حول الساحات الأنيقة التي تتوسطها النوافير. جدير بالتنويه أن شعار اشبيلية هو "الجيرالد" (La Giralda)، وهي منارة إسلامية، تعد الآن جزء من كاتدرائية المدينة. **(شويخات 2004: حرف الألف؛ اشبيلية).**

المحاضرة الرابعة: إشعاع الحضارة الإسلامية وإنجازاتها:

أقام المسلمون، بين القرنين 7 و 13 الميلاديين، حضارة عالمية جعلتهم في طليعة الشعوب تحضرا. وقد جمعت حضارتهم أسبانيا وإفريقيا الشمالية في الغرب إلى شعوب العالم القديم من مصر إلى سوريا إلى بلاد ما بين النهرين في الشرق. وكان واضحًا أن سرعة انتشار الإسلام هي التي عجلت في ربط أجزاء الخلافة الإسلامية. هكذا كان الإسلام هو المحرّك وكانت اللغة العربية هي الصلة. وحققت الحضارة الإسلامية في فترة ازدهارها الكثير من الانجازات في ميادين المعرفة المختلفة، ومنها: **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

1. في الرياضيات: اخترع الخوارزمي، أحد منجمي المأمون، علم الجبر وانتشر بفضله في العالم. وأخذت أوروبا في الرياضيات عن العرب مفهوم الصفر ونظام التقويم والنظام العشري (الذي دفع بعلم الرياضيات إلى الأمام)، والأرقام العربية التي هي اليوم أوسع الأرقام انتشارًا في العالم. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

2. في علم الفلك: شهد علم الفلك ظهور **الإسْطُرْلاَب** العربي الذي أوجده العلماء المسلمون لتحديد أوقات الفجر والمغرب والصوم، ثم طوّروه فاكتشفوا خطوط الطول والعرض وسرعة الصوت والضوء، حتى أصبح ذلك مرجعًا لعلماء الغرب. وتمكن **البيروني** من اكتشاف دوران الأرض حول الشمس، وهو ما أثبته غاليليو (G. Galilio) بعد ستة قرون. وترجم الفلكيون العرب الزرقالي والفرغاني والفزّاري مؤلفات بطليموس في الفلك، وأضافوا إليها ما بات مرجعًا بعدهم للفلكيين الغربيين. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

3. في الطبّ: تفوق العرب في فنون الشفاء التي كانت معروفة في مصر وبلاد ما بين النهرين. وكانت مؤلفات الرازي المتقدمة في الطب مرجعًا للأوربيين حتى وقت متأخر من القرن 16م. كما ظل الأوروبيون، حتى القرن 17م، يتعلمون من نظريات ابن سينا الطبية. وكان ابن سينا أول من أشار إلى الطب العقلي، وهو ما بات فيما بعد أساسًا لعلم النفس. واشتهر عند العرب أيضًا أمر التداوي بالأعشاب والمواد الطبيعية (من ثوم ومُر ...) فكانت تزخر بها صيدلياتهم ومنها انتشرت إلى الشرق الأوسط فأوروبا. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

4. في العِمارة: عرف المسلمون طرازًا معماريًا تجسد في بناء المساجد، مما عده الغربيون نماذج هندسية في فن البناء. ويعترف علماء الغرب أن الجامع الأموي في دمشق وجامع ابن طولون في القاهرة كانا أساسًا لبناء عدة كاتدرائيات ضخمة في أوروبا. وقد تأثر فن البناء الغربي كثيرًا ببناء المآذن والأقواس والقناطر والأهِلَّة والأطراف والمثلثات والمنحنيات المعكوسة وهندسة القِباب والمكعبات، مما أخذه الأوروبيون عن مساجد مكة والقدس والقاهرة ودمشق. وكان لفن الزخرفة والخط والنقوش تأثير كبير على الأوروبيين، خاصة ما تركه العرب في الأندلس (كقصر الحمراء والجامع الكبير في قرطبة). **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

5. في الملاحة والجغرافيا: كان للعرب تأثير كبير على الغرب. وقد أخذ العرب من الكنعانيين، وهم أسياد البحر، ومن قدامى المصريين، ما أعانهم على تطوير البوصلة. وبرع الإدريسي

بابتكاراته ومكتشفاته، حيث وضع أول أطلس في العالم، حاويًا سبعين خريطة، بعضها لمناطق لم تكن معروفة من قبل. وكانت رحلات ابن بطوطة وتدويناته خير معين للأوروبيين على معرفة مناطق جغرافية لم يكونوا يعرفونها. وفي القرن 16 م، تمكن حسن الوزان من كشف مجاهل إفريقيا ويدين له الغرب بذلك، ويُعْرَف عندهم باسم ليون الإفريقي. وفي رحلات "فاسكو دي غاما" (Vasco Da Gama) الشهيرة، كان الملاح العربي أحمد بن ماجد هو البحار الرئيسي في القيادة. ويقال إن "كريستوفر كولمبوس" (Christopher Columbus) كان يتكل على بحار عربي في توجيه حملته البحرية التي أدت إلى اكتشاف أمريكا. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

6. في فن الجنائن والحدائق: واشتهر العرب كذلك بفن الجنائن والحدائق. وقد بات كتاب **الفلاحة الأندلسية** لـ:"ابن العوام" مرجعًا أوروبيًا في علم النبات؛ لأنه وصف فيه نحو خمسمائة نبتة وبيَّن طريقة زراعتها والاعتناء بها وبالأرض والتربة. وكذلك ظل الأوروبيون لوقت طويل يستفيدون من العرب خاصة الأندلسيين في فنون حفظ الخضراوات والفواكه والأزهار ومواد التجميل ومساحيق الوجه والعطور والتطيُّب والجواهر والحُلي. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

7. في علوم الفيزياء: أفاد الأوروبيون، من ناحية أخرى، في علوم الفيزياء ـ وتحديدًا حقل البصر والبصريات ـ من مؤلفات الكندي وابن الهيثم. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

8. في الحرفيات الدقيقة والمنمنمات: برع العرب في الحرفيات الدقيقة والمنمنمات، وفي الزجاجيات والخزف والحفر والبلَّور ومزج الألوان وصباغة الحرير والأقمشة والجلود والدباغة وصقل الحديد. ومازالت بعض هذه الخامات والحرف تحمل في الغرب اسمها الأصلي (دِمَقْس، حرير دمشقي، دباغة مغربية، أزرق محمدي)، ويردها بعض الغربيين صراحة لأصلها العربي. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

9. في الموسيقى وآلاتها: طور العرب في الموسيقى وآلاتها، فعرف الغرب الكثير منها .وما زالت حتى اليوم آلات عديدة (القيثارة، الطبلة، الناي، المزمار، مزمار القربة ... إلخ) معروفة على أنها تطوير غربي للآلات الموسيقية العربية. كما أخذ الأوروبيون الكثير من الألحان العربية التي كانت شائعة في غناء القصائد العربية في قصور الملوك. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

10. في الفلسفة: نقل المفكرون العرب أهم مصادر الفلسفة المشرقية واليونانية القديمة ترجمة وتطويرًا، فاشتهر الكِنْدي بتطوير فلسفة أفلاطون وأرسطو، والفارابي بفكرة المدينة الفاضلة، وابن سينا بفلسفته العقلية، وابن خلدون بنظرياته الاجتماعية التي لا تزال حتى اليوم في أصل مؤلفات الكثيرين من الفلاسفة الاجتماعيين الغربيين. وبرز ابن رشد بفلسفته التي ارتكز عليها بعده فلاسفة غربيون كبار. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

وقد أخذ الغربيون كذلك جمالية الخط العربي متأثرين باللغة العربية نفسها، لذلك دخلت كلمات وعبارات عربية كثيرة إلى عدة لغات أوروبية، ولا تزال حتى اليوم في نسيج هذه اللغات (الإنجليزية، الفرنسية، الأسبانية، الإيطالية، الألمانية). وقد أثرت مؤلفات عربية مثل **حي بن**

يقظان لابن طفيل، **وألف ليلة وليلة، ومقدمة ابن خلدون،** إلخ ... في الفكر الغربي. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

هكذا نجد أن المسلمين ساهموا في تقدم الحضارة العالمية وتطورها، بفضل أعلامهم في العلوم والفنون والفلسفة والشعر والموسيقى. وفي مكتبات العالم اليوم آلاف الوثائق الشاهدة بفضل المنجزات الحضارية الإسلامية في حقول المعرفة المختلفة، وما كان لهم من تأثير في تصنيع النسيج والورق والدهان والصابون والحبر والشمع والسكر والنشاء والزيوت النباتية والعطور والبارود، وكذلك في اكتشاف أو تطوير الميزان ورقاص الساعة والساعة المائية والطاحونة المائية والهوائية والآلات الفلكية وأجهزة سكب المعادن وصك النقود والمعدات الحربية والأدوات الطبية والجراحية، وكذلك بناء الجسور والقنوات المكشوفة وجر المياه والتدفئة والتبريد وأنظمة الري والحمامات العامة وأبراج المراقبة والتحصينات العسكرية، وسواها من المنشآت والإنشاءات والابتكارات والاكتشافات التي يعترف الغرب اليوم بفضلها للعرب وحضارتهم. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

وبهذا تكون الحضارة العربية الإسلامية قد قدمت للحضارة العالمية إسهامات رئيسية ما يزال العالم يستخدمها اليوم، مدينًا بها للعرب بالسبق والابتكار. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

المحاضرة الخامسة: الحضارة الإسلامية في الأندلس:

أ. الإسلام في الأندلس:

فَتحَ العرب المسلمون بلاد الأندلس بقيادة طارق بن زياد بعد أن انتصروا على جيوش القوط، وأسّسوا دولة إسلامية حكمت ثمانية قرون من الزمان (711-1492م). **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

وقد أدّت الأندلس، في عهد ولاتها الذين شجَّعوا العلم والعلماء، دورًا مهمًا في نقل الحضارة العربية الإسلامية من المشرق إلى المغرب، وأضاءت ما حولها من ظلام الغرب وتخلّفه، قبل أن يبدأ " عصر النهضة"، الذي كانت أوروبا تعيش قبله في جهل وظلام فكري وروحي. وقد تمّيزت الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس بمقومات عدّة أهمها: العقيدة الإسلامية واللغة العربية. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

أدّى تاريخ الأندلس السياسي دورًا كبيرًا، سلبًا وإيجابًا، سواء في ازدهار هذه الحضارة، أو في انكماشها. وعرفت الحضارة الأندلسية تطورات مختلفة من القوة والضعف، وصلت بها إلى أوج قوتها زمن الأُمويين أيام حكم عبد الرحمن الناصر (912 - 961م)، وابنه الحَكَم (961 - 976م) **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين).**

ب. مجالات الحضارة الأندلسية:

.يمكن أن نتعرف أوجه هذه الحضارة في المجالات الآتية:

1. البناء والعمران: يَتَجلَّى فن البناء والمعمار في بناء المساجد، والقصور وازدهار المدن ـ مثل مدينة الزهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر ـ وما فيها من الحدائق والنّوافير والحمَّامات العامة والخاصة. فكانت الأنموذج لما بلغه فن البناء والعمران للحضارة العربية الإسلامية. يذكر المؤرخون أن قصور قرطبة تجاوزت 20,000 قصر، وأن مساجدها تجاوزت 900 مسجد، وأن حَمَّاماتها تجاوزت 700 حَمَّام. وكانت بها مدارس للطب والهندسة والعلوم والفنون. وأُنْشِئت المستشفيات ومعامل الكيمياء ومراصد الفلك. وكانت جامعة قرطبة منارة شامخة للفكر والثقافة وحاملة لواء هذه الحضارة العربية الإسلامية الشاملة. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

2. المجال الأدبي واللغوي والفلسفي: اهتم حكام الأندلس على مرِّ العصور برعاية العلوم والآداب، واستقطبوا ووفروا للأدباء والمفكرين المناخ المناسب لإبداعهم، فظهرت طائفة من الشعراء والعلماء والأدباء أنتجوا أعمالاً متألقة في مختلف مجالات المعرفة، فازدهر فن الشّعر والرسائل الأدبية والتأليف في علوم اللغة والنحو والمعاجم والطبقات والتراجم. وعرفت الأندلس في أيام حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحَكَم. شعراء كبارًا؛ كابن عبد ربه وابن هانئ وكبار مؤرخيها كالرازي وابن القوطية **ابن سعيد الأندلسي** صاحب كتاب **المُغْرب في حُلَي المَغْرب. وابن بسام الشَّنْتَريني** صاحب كتاب **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة؛ والفتح بن خاقان** صاحب كتاب **قلائد العقيان،** كما عرفت فن التأليف الموسوعي **كالعقد الفريد،** وظهرت في هذا

العصر المُؤَلَّفات الفلسفية على يد محمد ابن مسَّرة و**ابن ماجه** و**لسان الدين بن الخطيب، وابن خلدون** مؤسس علم الاجتماع. وحتى عندما انهارت الخلافة الأموية، انقسمت الأندلس إلى إمارات متطاحنة، ظلت شمس الأدب والفكر ساطعة. وعرفت الأندلس في هذه الفترة المضطربة طائفة من أعظم مفكريها وأدبائها وشعرائها. فقد كان أكثر حكام الطوائف وأمرائها من رجال الفكر والأدب، ومن ثمّ حظيت الحركة الثقافية بتحفيزهم. من أشهرهم حاكم أشبيليا الشاعر المعتمد بن عباد وكذلك المُظَفَّر وابنه المتوكل، ثم المعتصم بن صُمادح أمير ألمريّة والمقتدر والمؤتمن من بني هود في سرقسطة. كما برز الفقيه **ابن حزم وابن حيَّان** مؤرخ الأندلس **والشاعر ابن زيدون.** **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

وعندما استولى المرابطون على الأندلس بقيادة يوسف ابن تاشفين (1099م-1146م)، تألقت بعض الأسماء

اللامعة في مختلف مجالات المعرفة. فقد كانوا كما يقول المستشرق الأسباني جوليان ربيرا: "هم الشعب الأوروبي الوحيد الذي ازدهرت عنده الفنون بشْتَّى صنوفها، والآداب والفلسفة وغيرها ازدهارًا عظيمًا. وحينما نهضت أوروبا نهضتها الفلسفية والفنية والعلمية والأدبية في القرنين 12 و13 الميلاديين كانت الأندلس من أكبر شعوب أوروبا تأثيرًا في الفلسفة والفلك والطب والقصص وشعر الملاحم .ولما حَلَّ الموحِّدون حكامًا للأندلس (1146-1269م)، انطلقت حركة الفنون والعلوم بقوة أكبر فازدهرت على عهدهم الدُّور العلمية في مختلف المدن الأندلسية في **قرطبة وأشبيليا وبلنسية وغرناطة ومرسية.** ومن الأسماء اللامعة لهذا العصر **ابن طفيل** صاحب رسالة حيّ بن يقظان؛ والفيلسوف **ابن رشد؛** والمؤرخ **ابن بشكوال** صاحب كتاب **الصلة.** **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

ولما اضمحل شأن الموحدين وضعف أمرهم بالأندلس والمغرب في أوائل القرن السابع الهجري. بعد أن دام ملكهم نحو مائة وثلاثين سنة انحصرت الدولة الأندلسية منزوية في الركن الجنوبي الغربي في مملكة صغيرة هي **غرناطة** تحت حكم بني الأحمر (1269-1395م) الذين امتاز عصرهم بنصرة العلوم والآداب. وقد نبغ في هذا العصر شعراء وكتاب ومفكرون ومؤرخون كبار، بالرغم من سوء الأحوال السياسية وعدم استقرارها. ومن هؤلاء العالم النباتي والطبيب المشهور **ابن البيطار المالقي؛** وشيخ المتصوفة بالأندلس **محيي الدين بن عربي.**

3. المجال الديني والشرعي: لما كان الإسلامُ مقوّمًا مهمًا من مقومات هذه الحضارة فقد كان الاهتمام بعلومه جزءًا من شخصية الأندلس. فظهر عدد وفير من المؤلَّفات التي عُنيت بالقرآن الكريم وعلومه، وبالحديث الشريف في روايته وشروحه، وبالدراسات المنوعة في مجال الفقه والعقيدة والفلسفة وتاريخ الأديان. وبلغ الاهتمام بالعلوم الدينية والشرعية الأوج، فظهر محدِّثون وفقهاء ومفسرون. ولعل ما بلغته مكتبة الخليفة الناصر من ثراء دليل على تلك النهضة الحضارية الشاملة التي عاشتها الأندلس حينذاك. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

4. ميدان العلوم التطبيقية: ازدهر علم الطب، خاصة في القرنين 11 و 12 الميلاديين، وبرع أطباء الأندلس في الجراحة وتحضير العقاقير، وأُنْشِئت المستشفيات، ووُضعت عشرات المؤلَّفات

الطبِّية مثل كتاب **الأدوية المُفْرَدَة** للكتَّاني، **والتعريف لمن عجز عن التأليف** للزهراوي. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

5. أما علم الرياضيات: فتعد المدرسة التي ظهرت على يد الفلكي **مَسْلمة المجريطي** من أولى مدارسه في الأندلس، وقد أدى تلاميذه من بعده خدمةً جليلة لهذا العلم. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

6. وفي ميدان الفلك ظهر **ابن برغوث** وأبو **إبراهيم بن يحيى الزرقالي القرطبي** وغيرهما. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

وعموما، فقد حظيت الدراسات العلمية في مجال الفلك والرياضيات باهتمام طيب، وإن كان أقل شأنًا من الاهتمام بالدراسات الأدبية.

وهكذا مرت الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس بأطوار مختلفة تبعًا للعصور السياسية التي تواترت على الأندلس، لكن الذي لا يقبل الشك هو أن هذه الحضارة كانت نتاجًا لعقلية عربية إسلامية، استطاعت باقتدار أن تزاوج بين فكرها وتلك الأنماط التي كانت سائدة في شبه الجزيرة الإيبيرية (الإسبانية) قبل الفتح الإسلامي، فكانت الأقوى بفضل العقيدة واللغة. فانصرف الناس عما سواها حتى شكا القسّيسون من ضياع اللاتينية بين النصارى، وانصراف بني جلدتهم إلى كتابات المسلمين باللغة العربية. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

المحاضرة السادسة: أسواق العرب؛

1. تعريفها: منتديات أدبية كانت تقام في الجاهلية والإسلام، أدَّت دورًا مهمًّا في حياة العرب الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية. يقال للمحل الذي يباع ويشترى فيه سوق، وقد سميت بذلك لأن التجارة تُساق إليها، وهي تذكّر وتؤنَّث. وأسواق العرب إمّا ثابتة؛ وهي التي تكون في المدن والقرى، وإما موسمية؛ وهي التي تعقد في مواسم معيّنة، وتقع في مواضع متناثرة من جزيرة العرب. وكان بعض هذه الأسواق مقتصرًا على ما يجاوره من القرى كسوق هجر وحُجْر اليمامة والشِّحْر، ومنها ما كان عامًّا تفد إليه الناس من أطراف الجزيرة كلّها مثل سوق عكاظ. **(شويخات، حرف الألف، أسواق العرب).**

2. أهدافها: يُباع في هذه الأسواق السلع المختلفة الأصناف كالزبيب والتّمر والزيت والطيب والحيوان وحتى الرقيق يباع فيها ويشترى. ولم تكن هذه الأسواق تُقصد للتجارة وحدها، فقد كانت ملتقى أدبيًا يتناشدون فيه الأشعار ويتفاخرون ويتنافرون. وكان لهم حكام يفصلون بين المتنافسين. **شويخات، حرف الألف، أسواق العرب).**

3. أشهر الأسواق: أشهر العرب في الجاهلية حتى ظهور الإسلام، هي:

أ. الأسواق الثابتة:

***سوق عُكاظ:** سميت بذلك لأن العرب كانت تجتمع فيها فيَعْكُظُ بعضهم بعضًا في المفاخرة أي: يغلبه، أو أنها مأخوذة من التَّعكُّظ وهو احتباس الناس للنظر في أمورهم. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

تقع سوق عُكاظ بين مكة والطائف. وكانت تستمر عشرين يومًا من أول ذي القعدة إلى العشرين منه. وهي أشهر وأعرق أسواق العرب في الجاهلية والإسلام. ولم يكن للعرب مجمع أحفل منها حتى ضُرب بذلك المثل. و عُكاظ سوق تجارة كبرى لعامة أهل الجزيرة، يعرض فيها كل شيء من عروض التجارة كالحرير والمعادن والزيوت. وكانت تصل إليها التجارة من خارج الجزيرة كتجارة فارس. **(شويخات، حرف الألف، أسواق العرب).**

وعُكاظ سوق أدب يجتمع فيها الشعراء من كل ناحية ولهم مُحكِّمون، كالنابغة الذبياني، وقولهم هو الفصل في الشعر والأدب. وفي عكاظ، عُلّقت القصائد السبع. وكانت أيضًا مكانًا لأصحاب دعوات الإصلاح؛ فكان يقصدها قُس بن ساعدة الإيادي الذي كان يخطب في الناس ويذكِّرهم بعظمة الخالق. وذكر الأخباريون أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم رأى قُسًّا هذا في عكاظ. وقد قصد الرسول هذه السوق وغيرها يدعو من كان يحضر المواسم إلى الإسلام، وكان فيمن دعاهم بنو عامر بن صعصعة، ولم تجد دعوته قبولاً في أول أمرها ثم مكن الله له بعد ذلك. **(شويخات، حرف الألف، أسواق العرب)**

وكانت تنزلها **قريش** وطوائف من أحياء العرب، يؤمونها من العراق والبحرين واليمامة وعمان واليمن وغيرها. وقد اتخذت هذه السوق بعد عام الفيل ببضع عشرة سنة ثم تضاءل شأنها

بعد سنة 129هـ بظهور حركة الخوارج الحرورية، فخُرِّبت بعد ذلك وهُجِرت. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

* **سوق مَجَنَّة:** اسمها مشتقّ من الجَنَّة التي هي البستان، وقد كانت ذات جمال ومياه. وتعقد بأسفل مكة بمرّ الظهران (وادي فاطمة حاليا). يذهب الناس إليها بعد عكاظ ويقيمون بها العشر المتبقية من ذي القعدة حتى يروا هلال ذي الحجة فينتقلوا إلى ذي المجاز للحج. **(شويخات، حرف الألف، أسواق العرب)**. وهذه السوق لقبيلة **كِنانة**. وكان يجلب إليها ما يجلب إلى تلك الأسواق من متاع. وهذه السوق وإن كانت أقل شأنًا من عكاظ وذي المجاز، إلاّ أنها تستوي معهما في نظر المُحرِمين من العرب وتتمتع منهم جميعًا بالاحترام حتى كانت قريش وغيرها من العرب تقول: "لا تحضروا سوق عكاظ ومَجَنَّة وذي المجاز إلاّ محرمين بالحج." **(شويخات، حرف الألف، أسواق العرب)**.

* **سوق ذي المَجَاز**: سميت بذلك لأن إجازة الحجيج تكون منها إلى عرفات. وهي على مسافة ثلاثة أميال من عرفات. وقيل هي بـ: "مِنىً" بين مكة وعرفات. وهذه السوق لقبيلة **هُذَيْل**. تقوم هذه السوق حين يهلّ ذو الحجة فينصرف الناس من سوق مَجَنَّة إليها، ويقيمون بها حتى اليوم الثامن من ذي الحجة، وهو يوم التّروية (سمِّي بذلك لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء ويملؤون أوعيتهم للمرحلة التالية لأن عرفة ليس بها ماء). **(شويخات، حرف الألف، أسواق العرب)**.

وتأتي هذه السوق بعد عُكاظ أهمية، وترجع أهميتها إلى أنها من مواسم الحج عندهم، تؤمها وفود الحجاج من سائر العرب ممَّن شهد الأسواق الأخرى أو من لم يشهدها. ويجري فيها ما يجري في غيرها من البيع والشراء وتناشد الأشعار والمفاخرة والمفاداة. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤمّها في المواسم داعيًا إلى دين الحق وإن لم يجد آذانًا صاغية أول العهد، فالناس مشغولون بما عهدوا. **(شويخات، حرف الألف، أسواق العرب)**.

* **سوق المِرْبَد**: تقع في مدينة البصرة. و**المِرْبَد**: محبس الإبل ومربطها .و**مِرْبَد** البصرة هذا متسع للإبل تَرْبُدُ فيه للبيع، وكان في الأصل سوقًا للإبل منذ أيام الخلفاء الراشدين، حتى إذا كان عهد الأمويين اتسع وصار سوقًا عامة تتخذ فيه المجالس ويخرج إليها الناس كل يوم وتتعدد فيه الحلقات يتوسطها الشعراء ويؤمّه الأشراف وسائر الناس، يتناشدون ويتفاخرون ويتهاجون ويتشاورون وكان له شأن كبير في ذلك العصر حتى قال جعفر بن سليمان الهاشمي:"العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمِرْبَد عين البصرة وداري عين والمِرْبَد". وظلّ على مجده هذا حتّى خربت البصرة وتقلّص عمرانها فخرب. وشأن المِرْبَد في اللّغة عظيم كشأن عكاظ، لولا امتياز عكاظ بموقعه في وسط جزيرة العرب، وبعده عن مناطق العجَمة. وكان يعجُّ بالفصحاء والرواة يجمعون الفصاحات ويتصيدون الشواهد التي أسس النُّحاة عليها قواعدهم وأصلحوها. كما كان المِرْبَد ساحة لحلقات الشعراء مثل جرير والفرزدق وذي الرُّمَّة، ولشعر النقائض. **(شويخات، حرف الألف، أسواق العرب)**.

واستمر المِرْبَد يؤدي رسالته وغرضه حتى العهد الأول من العصر العباسي. وقد ورث مكانة سوق عكاظ وحلّ محلّه، لأن الإسلام لما حلّ بجزيرة العرب ضعف شأن الشعر لانصراف الناس إلى الفتوح وانشغالهم بالقرآن والسُّنة وأحكام الدّين، فتضاءل أمر سوق عكاظ وأخذ مِرْبَد

البصرة يتنامى، فكان قبلة العلماء والشعراء فكانت تلك أزهى عصوره. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

ب. الأسواق الموسمية: أهمها:

*سوق دُومة الجندل: موسمها شهر ربيع الأول إلى نصفه، وموقعها مدينة الجَوْف الحالي؛

*سوق هَجَر: في البحرين، وهي سوق التّمر الذي يضرب به المثل وتعقد في ربيع الآخر؛

*سوق المُشَقّر: حصن بالبحرين قريب من مدينة هَجَر وتعقد سوقه في جمادى الآخرة؛

*سوق عُمان: تقصدها العرب بعد الفراغ من هَجَر ويقيمون بها حتى آخر جمادى الأولى. وتجتمع فيها تجارة الهند وفارس والحبشة مع تجارة العرب؛

*سوق حُباشة: هي سوق تِهَامَة وتُقام في شهر رجب، وقد ورد في الخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخلها بتجارة السيدة خديجة، رضي الله عنها، مرَّةً؛

*سوق صُحار: في عُمان وتعقد في رجب؛.

*سوق الشِّحْر: هو الساحل الجنوبي بين عدن وعُمان، وتعقد في النصف من شعبان؛

*سوق عَدَن: يرحل إليها العرب بعد سوق الشِّحر وتُقام مدة العشر الأُوَلِ من رمضان؛

*سوق حَضْرَمَوْت: تعقد في منتصف ذي القعدة، وربما أقيمت هي وعكاظ في يوم واحد فيتوجّه بعضهم إلى هذه وبعضهم إلى تلك. **(شويخات، حرف الألف، أسواق العرب).**

4. أثر أسواق العرب: أثّرت هذه الأسواق في **اللغة والأدب** تأثيرًا كبيرًا إذْ على قرّبت لهجات القبائل، وكان قيام قريش على هذه الأسواق ـ عدا المِرْبَد ـ هو الذي هيّأ اللغة القرشية لِأَنْ تصبح تصبح أفصح اللُّغات، فتتبوأ المكان الأعلى، لأنهم كانوا يسمعون لغات القبائل على اختلافها فيختارون الحسن منها، حتى خَلَّصَتْ لغتهم وتهيأت لنزول القرآن بها. **(شويخات، حرف الألف، أسواق العرب).**

كما كان لهذه الأسواق أثر بارز **في الدين**؛ لأن المناسك كلها تقوم بإمامة قريش أهل الحرم، فنتج عن ذلك توحيد في اللغة وتوحيد في الدين والعادات. هذا إلى جانب الانتعاش الاقتصادي وتنويع السلع من مختلف أنحاء الجزيرة وفارس والهند والحبشة. وكان المشجّع على قصد هذه الأسواق أنها تُعقد في الأشهر الحرم، فكان الأمن فيها مكفولاً فكثر قاصدوها. **(شويخات، حرف الألف، أسواق العرب).**

المحاضرة السابعة: أثر الحضارة الإسلامية على أوروبا:

أ. مَعَابِر الحضارة الإسلامية نحو أوروبا:

أخذت حضارة المسلمين تتسرب إلى أوروبا عبر صقلية وعبر الأندلس مرورا ببلاد المغرب، وكذا عن طريق بلاد الشام والقسطنطينية عبر الحروب الصليبية. وأخذ طلاب العلم في أوروبا ينهلون من الجامعات الإسلامية منذ نهاية القرن 11م، وباختصار؛ فقد كان المسلمون سببا في ظهور "عصر النهضة" في أوروبا.

يُقصد بـ: **"عصر النهضة"** تلك الحركة الثقافية الكبرى التي بدأت في إيطاليا أوائل القرن 14 م، ثم انتشرت، في أواخر القرن 15 م، في كل من إنغلترا وفرنسا وألمانيا ... وغيرها، لتنتهي في القرن 17 م. **(شويخات 2004: حرف العين؛ عصر النهضة [الأوربية])**

كان للمسلمين إسهامات جمة في ثقافة أوروبا. فقد احتفظوا بمخطوطات الإغريق التي غدت في متناول يد علماء أوروبا.**(شويخات 2004: حرف الألف؛ أوروبا)**. ومعروف أنه خلال عصر النهضة عَكَفَ علماء أوروبا (ايطاليون خاصة) على دراسة ثقافتيْ اليونان والرومان، راغبين في بعث روح هاتين الثقافتين المعروفتين بـ: "التراث الكلاسيكي" في أعمالهم الأدبية والفلسفية. وكان العرب قد أوْلوا اهتماما بالثقافتين الإغريقية والرومانية وخاصة العلوم، وكانت مثل هذه المعارف قد باتت مفقودة في أوروبا. لذا كان إسهام العرب كبيرا في نقل أغلب انجازات الإغريق والرومان وما أضافوه من مخترعات وعلوم هو أساس نهضة في أوروبا. وكان عصر النهضة بَعْثاً لهذه الثقافات ولذا يعرف بأنه إحياء للعصور القديمة (=إحياء للمعرفة). **(شويخات 2024: حرف العين؛ عصر النهضة [الأوربية])**

ومع أن دراسة "اللاّهوت" (علم العقائد النصرانية) كانت في العصور الوسطى أكثر فروع المعرفة أهمية، إلا أن عددا كبيرا من مفكري عصر النهضة، أعاروا اهتماما أكبر للدراسات الإنسانية ومحّصوا الانجازات الكبرى للثقافات المختلفة، وبخاصة ثقافتيْ اليونان والرومان. وتأملوا طويلا مؤلفات العرب وشروحهم على ما نقلوه. **(شويخات 2024: حرف العين؛ عصر النهضة [الأوربية])** وبسبب تركيز الأوروبيين على علم اللاّهوت ونفور الكنيسة من التطلع لمعرفة علوم اليونان والنهل منها، لم يعرف الأوربيون النهضة إلا بعد أن وطّد لها العرب الذين حازوا قَصَبَ السبق في التعرف على علوم الإغريق والرومان ثم الزيادة عليها لاحقا.

وفي الوقت الذي سعى فيه المسلمون إلى إحياء تراث اليونان، كانت الكنيسة في الغرب تعتبر تلك العلوم تمثل حضارة الكفار غير المسيحيين؛ لذا كانت ترجمة العربية لهذا التراث عملية إنقاذ لكنوز حضارة مُهَدَدَة بالفناء، لأن العالم المسيحي، مَهْد تلك الحضارة، اضمحلَّ قسمه الغربي تحت ضربات البرابرة الذين نهبوا روما، عدا ما جمعه بعض الرهبان من تلك العلوم، إلا أن آفاقهم الفكرية كانت محدودة لأن هَمَّهم كان محصورا بالآخرة. كما أن بيزنطة، وريثة العالم الإغريقي الروماني، كانت متقوقعة على نفسها **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**، بالرغم من اطلاع اللاتين

على بعض التراث الهلنستي الذي حفظته مكتبات القسطنطينية. **(عبد القادر أحمد اليوسف 1969: ص، 74).**

وفي ظرفٍ كانت فيه أوروبا ضعيفة علميا وفكريا، ظهر العالم الإسلامي كقوة متماسكة ملأت الفراغ الذي خلفه انقسام العالم المسيحي وما نجم عنه من ظهور كابوسيْن مُرْعِبيْن هما؛ التعصب والجهل. لذا التفتت الكنيسة لتجد لهما حلاّ لدى العرب؛ بشنّ الحروب الصليبية على المشرق من جهة، وبالتفتيش على مناهل المعرفة لدى عرب المغرب، في اسبانيا وصقلية من جهة ثانية؛ وفي الوقت الذي كان فيه الصليبيون يقتلون الآمنين في المشرق، كان العلماء الغربيون يترجمون إلى اللاتينية علوم العرب في مكتبات طُلَيْطِلَة. وقد اشتهر منهم "جيربير دو اوريلاك" وقُسْطَنْطِين الإفريقي الذي نقل للعالم المسيحي (لاتينية) كتاب "كامل الصناعة الطبية" لعلي بن العباس (الملقب بـ: المجوسي) و"زاد المسافر" لابن الجزّار. لذا، فالعالَم الغربي مَدين لقُسْطَنْطِين الإفريقي بتوجيه أنظار أوروبا، التي كانت متأخرة فكريا، إلى كنوز المشرق. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

وكان الأسقف "ريمون" (Raymond) قد حَوَّل مدينة طُلَيْطِلَة، في القرنين 12 و 13 الميلاديين، إلى منارة لترجمة علوم العرب؛ فترجم "جان دو سيفيل" كتاب "الروح" لابن سينا وكتاب "الأشكال" لثابت بن قُرَّة. وترجم دومينيك غونديسالفي (D. Gundissalvi) كتبا لفلاسفة العرب مثل ابن سينا والفارابي والغزالي، وترجم أفلاطون دو تيفولي (Platon de Tivoli) كتبا للبتّاني طبعت في مدن أوربية كثيرة. على أن أشهر المترجمين هو جيراردو كريموني (G. de Cremona) الذي ترجم لوحده 71 كتابا في مختلف علوم العرب، فكان ما ترجمه ثروة علمية ضخمة انتقلت إلى أوروبا وأسهمت في تكوين أجيال من العلماء في جامعاتها. ومع أن ما تم انجازه في طُلَيْطِلَة لا يُقَارن بما أنتجه المشرق العربي، لكنه أفاد العالم نظرا لتعطُّش الغرب للمعرفة، فدون العرب لم يكن عصر النهضة ليرى النور. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

إن الحضارة الأوروبية مدينة بالشيء الكثير لعلوم المسلمين ومناهجهم التي اطلعوا عليها عن طريق ترجمة ودراسة التراث العلمي والفلسفي خاصة في القرن 13 م عن طريق الأندلس، فكانت فترة القرون الثلاثة التالية مرحلة تفاعل داخلي مكن أوروبا من هَضْم المعرفة الإسلامية والتحكم في مناهجها، وهذا ما أكسبها مناعة حضارية سمحت لها، فيما بعدُ، بتجاوز تراث المسلمين النظري والعملي، **(يحي بوعزيز 1999: ص، 74)** ومن الجائز القول أنه من طُلَيْطِلة، التي شهدت ترجمة علوم المسلمين إلى اللاتينية، انتشرت معارف العرب في كامل أوروبا.

لقد كان طريق الثقافة يبدأ، في نهاية القرن 13 م، من طُلَيْطِلة ويقطع جبال البيرينيه والآلب ليبلغ اللورين وألمانيا وأوروبا الوسطى ثم إنغلترا. فعلوم العرب التي دخلت اللورين، في القرن 10م، جعلت من هذه المنطقة مركزا للنفوذ العلمي في القرنين القادمين بحيث باتت مدن ألمانيا وفرنسا وبلجيكا أرضا خصبة لنمو معارف العرب. وهكذا فقد انتشرت ثقافة العرب الآتية من اسبانيا وصقلية في كل أنحاء أوروبا. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

كان دور الحروب الصليبية في نقل التراث العلمي العربي ضئيلا. إذْ لم يكترث الصليبيون باقتباس علوم العرب ولم يُعرف بأنهم أنجبوا أي عالم عدا "وِلْيَمْ الصوري". إن كل ما نقله الصليبيون من العربية إلى اللاتينية لا يتعدى ترجمة كتاب "كامل الصناعة الطبية" لـ: علي بن عباس، وان جُلّ ما اكتسبوه من الحضارة الإسلامية، هو إنشاء المشافي وبيوت العزْل والمحاجر الصحية، التي كانت الأُنْمُوذج الذي قلده الغربيون عند إنشاء المشافي في أوربا. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

وعلى أية حال، فإن تحاشي العرب العيوب التي وردت في كتب أساتذتهم الإغريق، كان سببا في إقبال الأوروبيين على ترجمة علوم الطب العربية؛ إذ وضع العرب كتبا جامعة مرتبة متسلسلة مختصرة يغني الواحد منها عن مجموعات كثيرة من كتب الأولين، ومنها كتب الكامل في الطب (الملكي) والقانون والتصريف وزاد المسافر... وغيرها والتي شهد مؤرخ الطب م. نيوبيرجر (Max Neuberger) بفضلها على طلاب أوروبا في القرون الوسطى، معترفا بأن العرب قدموا العلوم للأوربيين في أشكال سهلة وصاغوا من لغتهم الحية تعابير علمية مثالية. ولذا لم يكونوا مجرد نَقَلَة لعلوم الإغريق، بل كانت لهم علومهم التي تتميز بالأصالة والإبداع. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)** وعموما، فإن اتسام كتب العرب بالوضوح والترتيب حبب أوروبا لمضامينها وجعلها تنقلها إلى لغاتها. فلا غرابة، أن يظل بعضها كتبا مدرسية بين أيدي طلاب أوروبا قرونا؛ كالقسم الخاص بالجراحة من كتاب التصريف للزهراوي. (طبع في البندقية 1497 م وفي بال 1541 م وفي أكسفورد 1778 م). **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

ب. ميادين إسهامات العرب في الثقافة الأوروبية:

أفاد الأوربيون كثيرا من علوم العرب. وفيما يلي بسطة لتلك العلوم التي استفادوا منها.

كان كتاب "القانون في الطب" لابن سينا (Avecenna) الكتاب المدرسي المقرر في الطب في جامعتي مونبيلييه (فرنسا) ولوفان [Leuven] (بلجيكا) في منتصف القرن 17 م. وقد ترجمه إلى اللاتينية "جيرارد الكريموني"؛ وطبعت ترجمته 20 مرة في القرن 16 م. وطبع بالعربية مرتين أولاهما في روما (1593م) والثانية في في مصر (1877م) **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**. كما أفادت أوروبا من كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" للزهراوي (يكنى بأبي الجراحة) خمسة قرون. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

ونبغ العرب في الصيدلة، وقلد الأوربيون نظام الحِسبة العربي في هذا الميدان. وحقيقة ذلك، أن المُدَلّسين انتشروا في مهنة الصيدلة، فأمر المأمون بعقد امتحان أمانة الصيدلة، يُمْنَحَ بعده الصيدلاني الذي تثبت أمانته شهادة تتيح له العمل، فدخلت الصيدلة تحت نظام الحِسبة، ومن العرب انتقل هذا النظام إلى أوروبا في عهد فريدريك الثاني (1210-1250 م). ولا تزال كلمة مُحْتَسِب (مُتَطوّع ملم بالشريعة آمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر خاصة في الأسواق) مستخدمة في الاسبانية بلفظها العربي حتى الآن. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)** ويُشار إلى أن المسلمين اعتمدوا في بادئ الأمر على أدوية اسْتَجْلبوها من بلدان سبقتهم في هذا المجال، إلا أنه بعد

تحصيلهم خبرة في الطب والصيدلة، اكتشفوا أنواعا كثيرة من العقاقير تدلنا عليها أسماؤها التي وضعها العرب، ولا يزال بعضها مستخدما في لغات أوروبية. كالسبانخ (spinach) والبرقوق (apricot) والباذنجان (aubergine) والزعفران (saffron) والشراب (syrup) والعنبر (ambar) والكُحل (kohl) والكركم (curcuma) والمُرّ (myrrh) والياسمين (jasmine) ... وغيرها. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية). (الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

كما تلقَّف الأوربيون كثيرا من كتب الصيدلة وصناعتها من العرب؛ فقد أخذ كتاب "الكامل في الطب" لصاحبه علي بن عباس طريقه إلى أوروبا عندما ترجمه قُسْطَنْطين الأفريقي (1078م) عميد مدرسة الطب في جامعة سالرنو (Salerno) الإيطالية ونسبه إلى نفسه، ولم يكتشف هذا السَّطْو إلا بعد أن قام سْتيفان الأنطاكي بترجمته ثانية في عام 1227م ومن ثمة، أثبت عليه اسم المؤلف. ومما يُقال على وجه الإجمال، أن العرب حفظوا التراث الطبي للأمم التي سبقتهم من الضياع، وأهملوا فيه ما يتنافى مع العلم والتجربة، وصححوا الأخطاء الواردة فيه وأضافوا معارف جديدة. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)** تلقفتها أوربا منهم لاحقا.

كما أبدع العرب في حقل الكيمياء؛ ومع أن الإغريق والسريان كانوا يفسرون الظواهر بِرَدَّها إلى الخوارق والسحر، أي أن الكيمياء بدأت مع علم السحر والتنجيم، وكان هذا هو الاعتقاد السائد في أوروبا إبان القرون الوسطى، إلا أن العرب ادخلوا على الكيمياء، التي وصلتهم من الإغريق عبر مدرسة الإسكندرية، التجربة العلمية والملاحظات الحِسّية. وباختصار لم تصبح الكيمياء علما حقيقيا، إلا بعد أن آل أمرها إلى المسلمين الذين قدّموها لمن خلفهم من العلم، فبيَّنوا على أساسها صرح الكيمياء الحديثة، وكان العرب دعامة ذلك الصرح. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)** ومن العرب انتقل علم الكيمياء إلى أوربا خالصا من الغيبيات.

ومن الأمثلة على نبوغ العرب في الكيمياء، أن الإغريق كانوا يستخدمون ما يسمى بـ:" النار الإغريقية" في حروبهم لكنها لم تكن قابلة للانفجار. ويعود الفضل للمسلمين، نتيجة براعتهم في تركيب المعادن، في اختراع بارود المدافع، وكان مسلمو الأندلس أول من صنعه، ثم تم نقله في منتصف القرن 14 م إلى أوروبا. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

وفي ميدان البصريات اعتمدت أبحاث روجيه بيكون (Roger Bacon) وفيتليو (Vitello) وليوناردو دافنشي (L. Da Vinci) على نظريات ابن الهيثم، مؤسس علم البصريات. وعندما بحث كِبلر (J. Kepler) الألماني (القرن 16 م) في القوانين التي اعتمد عليها غاليليو في صنع منظاره، أدرك أن خلْف عمله هذا أبحاث ابن الهيثم. كما عُنِيَ ابن الهيثم بعلم المناظر عناية بزّ بها من قبله ومهد بها لمن بعده؛ إذ تحقق من قياسات زوايا السقوط والانكسار، فاحتذى به الفلكي الدانماركي "تيخو براهي"(Tycho Brahe) **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

وعلى أية حال، فقد بنى ابن الهيثم بحوثه على منهجه البحثي، وخاصة في مجال الضوء، القائم على الاستقراء والقياس والتمثيل وهو الذي دُعِيَ، فيما بعد، بالمنهج العلمي. وعلى ذلك، يكون قد سبق "روجر بيكون" الذي ينسب إليه هذا الفضل، ولم يسبقه فحسب بل تفوق عليه

واستطاع أن يجمع بين المقدرة الرياضية والكتابة العلمية. وكان "روجر بيكون" من أعظم علماء الغرب الذين درسوا العلم العربي ثم حمل نتاجه إلى أجيال أوربا. وكان أشد فخرا بفصل الضوء في كتاب "التأليف الكبير" الذي استمده من ابن الهيثم والكِنْدِي. وكان يقول: "أعجب ممن يريد البحث في الفلسفة وهو لا يعرف اللغة العربية". **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

وعلى العموم، فقد اقبل المترجمون والمُنْتَحلون على كتب ابن الهيثم التي بقيت منهلا لعلماء في القرون الوسطى مثل روجر بيكون وكِبلر ودا فينشي وويتلو (E. C. Witelo) وج. هوبكنز (J. Hopkins). ونقلت كتبه في الرياضيات والفلك والفيزياء إلى العبرية والاسبانية والايطالية واللاتينية. كما ترجمت كتابات عبد الرحمن الخازن إلى اللاتينية ثم الايطالية في وقت مبكر واستعانت بها أوربا في العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

كما كانت أبحاث علماء المسلمين اللبنة الأولى لعلم **الجاذبية** التي بنى عليها كل من كوبر نيكوس (N. Copernicus) ويوهان كبلر نظرياتهما، **(يحي بوعزيز 1999: ص، 74)**. كما اعترف هما بذلك. وأفاد من هذه اللبنات أيضا غاليليو وإ. نيوتن (I. Newton) لوضع قوانين تحديد قوة الجاذبية. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

وفي **الميكانيكا** (علم الحِيَّل) بنى عبد الرحمن الخازني كتابه "ميزان الحكمة" وكذا ثابت بن قرة كتابه "القرطسون" على البراهين الهندسية، وكانت مسلماتهما نقطة الانطلاق في مؤلفات عصر النهضة في أوربا. وهي مرحلة سابقة لكل من غاليليو في كتابه "محاورات حول عِلْمَيْن جديديْن" ونيوتن في عمله "المبادئ الرياضية". وفي ميدان الجاذبية والمغناطيس، أدلى عبد الرحمن الخازني بدلوه في ظاهرة الجاذبية وخواص الجذب، تماما كما فعل في بحثه في الضغط الجوي التي تحدث فيها قبل إ. توريشيلي (E. Torricelli) بخمسة قرون. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**. وعرف ابن الهيثم في مجال الميكانيكا مبدأ العَطَالَة، التي صاغها فيما بعد نيوتن في قانونه المتعلق بالحركة. كما صار كتابه "المناظير" أساس كل نظريات العصور الوسطى، خصوصا أعمال روجيه بيكون في القرن 13 م. أما في عصر النهضة فقد تأثر به دافنشي وكلبير. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

وفوق ذلك كله، برع العرب في **علم النبات** ونقلوا إلى أوروبا ثمار نباتات طبية وعطرية كثيرة، وكان من دَأْبِ المسلمين إنْ فتحوا بلادا، أَنْ يبدؤوا بشيئيْن: بناء المساجد وإقامة المشاريع الزراعية. ولذا، فقد انتشرت الحدائق في قرطبة وصقلية واشبيلية، وفي اسبانيا اليوم بقايا من هذه الحدائق مثل حديقة المركيز دوفيانا (Las Duenas) وحديقة القصر الملكي في اشبيلية. وأقاموا بعض حدائقهم لتكون بمثابة حقول للتجارب الزراعية كما حدث في قرطبة. وقد تفنن العرب في هذه التجارب إلى أن اكسبوا بعض النباتات صفات بعض العقاقير في مفعولها الدوائي. ومن العرب عرف الغرب الأفاويه مثل جوز الطيب والقرنفل. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

كما توصل العرب إلى نظام للتسمية يشبه ما يُعْرَفُ الآن بـ:"التسمية الثنائية" التي بدأها العالم السويدي

كارلوس لينيوس (C. Linnaeus) في عام 1753 م؛ فقد أطلقوا على كل نبات كلمتين إحداهما تشير إلى صفة من صفات النبات. وكان ذلك باعثا لعلماء النبات في أوروبا على استعارة الاسم العربي بعد تطويعه لقواعد اللغة اللاتينية، ليصير مصطلحا علميا لهذا النبات أو ذاك؛ مثل نبات الصلة الشوكي واسمه العلمي (Zila spinosa). كما نقل العرب أنواعا أخرى من النباتات إلى صقلية والأندلس؛ فادخلوا فيها لأول مرة زراعة الزعفران والعنب والأرز والمشمش والبطيخ والورد والياسمين. وظلت حدائق طليطلة واشبيلية تشهد بِنبوغهم في مجال الزراعة وفي تنظيم وسائل الري والصرف وتوزيع المياه. وعقب تطوير العرب لعلم النبات والعقاقير، انتقلت من بلاد المشرق أعشاب ونباتات طبية وعطرية لا حصر لها. كما استعارت لغات أوربا جملة من المفردات العربية في حقل النبات، وقد ذكر هنري لوكليرك (H. Leclerc) منها حوالي 80 كلمة؛ منها الزعفران والكافور والصندل والمسك والمر والراوند والينسون. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

وبالرغم من أن العرب لم يُسْهموا إسهاما واضحا في حقل **الحيوان** كما في بقية العلوم، إلا أنه كانت لهم آراء سبقوا بها أفكار بعض المحدثين. فمثلا تنسب نظرية التكافل (=المشاركة الحيوانية) عادة للفيلسوف الألماني غوته [Goethe]، إلا أننا نجد إشارات واضحة لدى الجاحظ والقزويني والدّميري لهذه النظرية؛ التي مؤداها أن بعض الحيوانات التي تعيش في بيئة واحدة، قد يربط بينها مصلحة مشتركة فتنشأ بينها مودة؛ كأن يحط طائر البقر فوق البقرة ليلتقط منها الهوام. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

وفي حقل **الجيولوجيا** ترجم ألفريد سيريشل (عام 1200 م) الجزء الخاص بالمعادن في كتاب "الشفاء" لابن سينا في ونسبه إلى أرسطو، غير أن هولميارد (E.J. Holmyard) وماندرفيل (D.C Manderville) اكتشفا خطأه في عام 1929 م، بعد أن قدما البراهين على ذلك. وعلى الجملة، فقد أصبح الجزء الخاص بالمعادن منطلقا لعلم الأرض في أوروبا، **(شويخات، حرف العين؛ العلوم عند العرب والمسلمين)** واعترف ليوناردو دافينشي أنه استقى معلوماته عن الأحجار والأحافير من كتب ابن سينا (مؤسس علم الجيولوجيا عند العرب). **(يحي بوعزيز 1999: ص، 74) .**

كما أفاد الأوربيون من العرب في **الجغرافيا**، لاسيما وأن الفترة المحصورة بين القرن 9 والقرن 14 للميلاد، شهدت بروز رحالة وجغرافيين وخرائطيين ومؤلفي معاجم جغرافية عربا منهم الخوارزمي وسليمان تاجر سيراف (مدينة إيرانية قديمة) ثم ابن جبير وابن بطوطة ... وغيرهم. وقد جمع أعمالهم العالم "م. ج. غويج" (M. G. Goeje) من جامعة ليدن الهولندية في ثمانية مجلدات تحت اسم "المكتبة الجغرافية العربية". وساهمت المنجزات الجغرافية العربية في دفع حركة التجارة بين آسيا وأوربا، ونجم عن ذلك تقدم في التجارة الدولية، وفي العلاقات بين مختلف الأمم التي غيرت مجرى التاريخ. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

وكان العرب المسلمون، عن طريق عبد الله البِكْري ومعجمه "معجم ما استعجم" (القرن 11 م)، أول من عرف تأليف المعاجم الجغرافية ولم يسبقهم إليه أحد. ولم تظهر المعاجم في غير

العربية إلا في القرن 16 م في أوروبا وهو معجم أوتيليوس. **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

ويعد الإدريسي أشهر جغرافِيّي القرن 12 م. وقد دعاه روجر الثاني، لما انتقل هذا العالم من قرطبة إلى صقلية، ليؤلف له كتابا في الجغرافيا يعرف من خلاله مسالك بلاده. اسماه: "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق". **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)** فلما توفي "روجر" (1145 م)، خلفه غيوم الثاني الذي أمر الإدريسي فصنف له: "كتاب المسالك والممالك" **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**وعلى ذلك، فسكان صقلية مدينون للعرب في علم الجغرافيا وفي غيره من العلوم.

وقد ازدهرت الحضارة الإسلامية في **صقلية** في عهد الملوك الكلبيين (نسبة إلى الحسن الكلبي مؤسس

السلالة بين 948 م و1053 م زمن الفاطميين)، ثم في عهد ملوك النورمان (1053-1282م) والإمبراطور فريدريك الثاني الذي نظم الجباية الاقتصادية لبلاده متبعا أساليب العرب التي نقلها النورمان، لاسيما ما تعلق بمصانع الطراز أو أصول المحاسبة التجارية التي انتقلت إلى التجار اللومبارديين، ومنهم إلى المدن التجارية والدوائر الحكومية في بلاد الغرب، حتى دُعي فريدريك الثاني "تلميذ العرب". **(شويخات، حرف العين؛ العلوم عند العرب والمسلمين).** وتقدمت الصناعة في صقلية بفضل العرب الذين استخرجوا منها المعادن بأساليب فنية، كما أدخلوا إليها صنع الحرير؛ فكان ملوك صقلية يرتدون أردية حريرية مطرزة بكتابات كوفية. **(غوستاف لوبون 2013: ص، 330)** والمسلمون أول من أدخل صناعة الورق إلى أوربا وأنشئوا له مصانع في صقلية والأندلس. وكان مبدأ معرفتهم بصناعة الورق عندما فتحوا سمرقند (712 م)، وتعلموا منها ضرب القِنَّب لصنع عجينة تُحَوَّل إلى ورق كتابة حل محل وسائل الكتابة المعروفة آنذاك (ألواح الطين، البردي، الرُّق، سعف النخيل). **(الشويخات 2004: حرف العين؛ العلوم عند العرب المسلمين)**

كما استندت أوروبا على العرب في تطوير علم الفلك وترصد النجوم من خلال **الأزياج** العربية. والزيج جدول حسابي يبين مواقع النجوم والكواكب ويحسب حركتها في كل زمان. ومن أشهرها الزيج الذي وضعه البتَّاني [929م]. وللبتّاني مآثر جليلة في رصد الكسوف والخسوف اعتمد عليها، لاحقا، فلكيو أوروبا في تحديد حركة القمر حول الأرض. وتعدت آثار هذا الزيج الإسلامي إلى التأثير في علم الفلك في أوروبا في العصور الوسطى وأوائل عصر النهضة، وقد ترجم من العربية إلى الاسبانية بأمر من ألفونسو العاشر (Alfonso X) ملك قشتالة. **(الشويخات، حرف العين؛ العلوم عند العرب والمسلمين)** وبُنِيَ النجاح الذي بلغه العرب في الفلك على استخدامهم لآلات الرصد. ومن أشهر المراصد التي أقيمت في القرن 7 هـ مرصد مراغة (آذربيجان)، الذي بناه نصير الدين الطوسي الذي عهد إليه هولاكو**(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)** مراقبة أوقاف الممالك التي استولى عليها. واشتهرت أرصاده بالدقة، وقد اعتمد عليه علماء أوروبا في عصر النهضة وما بعده في بحوثهم الفلكية.**(الشويخات، حرف العين؛العلوم عند العرب والمسلمين)**

وشهد علم الفلك ظهور **الإسْطُرْلاَب** الذي أوجده المسلمون. والإسْطُرْلاَب (astrolabe)**:** أداة لرصد النجوم للاهتداء بها في عُرض البحار ليلا. وقد ابتكره اليونان (320 ق.م)، ولما آل علم الفلك إلى العرب طوروا هذه الآلة بعدما كانت بدائية. ويعد إبراهيم بن حبيب الفزاري أول من ابتكر إسطرلابا من العرب، **(الشويخات، حرف العين؛ العلوم عند العرب والمسلمين).** ساعدهم في تحديد أوقات الفجر والمغرب والصوم ثم طوروه أكثر، فاكتشفوا خطوط الطول والعرض وسرعة الصوت والضوء، حتى أصبح ذلك مرجعا لعلماء الغرب. **(الشويخات 2004: حرف الحاء؛ الحضارة).**

كما برع العرب والمسلمون في **الرياضيات،** وقد أضافوا إليها إضافات كانت من أسباب تطور هذا العلم في العصر الحديث؛ حيث اخذوا من الحساب الهندي أرقامه دون أشكالها، وعرفت بالأرقام العربية، وقد انتشرت في المغرب العربي والأندلس ومنها إلى أوروبا من خلال التجارة والرحلات. **(شويخات، حرف العين؛ العلوم عند العرب والمسلمين)** وتستخدم كل الأمم المتحضرة اليوم الأرقام التي نقلها الجميع عن العرب، ولولا تلك الأرقام لما وُجد اليوم دليل تلفونات ... ولما وُجد هذا الصرح الشامخ من علوم الطبيعة والفلك، بل ولما وُجِدت الطائرات أو صواريخ الفضاء. **(زيغريد هونكه 1981، ص، 68).** كما اشتغل العرب بالجَبْر وربطوه بالأشكال الهندسية وهم أول من أطلق لفظ "جَبْر" على هذا العلم. وانتقلت اللفظة إلى الانجليزية (algebra) وباقي لغات أوروبا. وقد أثر كتاب "الجَبْر والمقابلة" للخوارزمي في كل الأدبيات التي تناولت العلوم الرياضية من بعده في الشرق والغرب على السواء، وقد ترجمه إلى اللاتينية روبرت الشستري (Robert of Chester)، وكانت هذه الترجمة أساسا لدراسات أشهر رياضيي الغرب مثل ليوناردو آلبيزي (L. De Pisa)، الذي اعترف بأنه مَدِين للعرب بذخيرته المعرفية في الرياضيات .**(الشويخات، حرف العين؛ العلوم عند العرب والمسلمين)**

في **الفلسفة** سار ابن سينا على خُطى الفارابي، فحاول التوفيق بين الدين والمذاهب الفلسفية ولذا ظهر تأثيره

على مراكز التعليم الأوروبية وخاصة الحركة المدرسية "السكولاستيك" (Scholasticism) [نظام فلسفي يؤكد على استخدام العقل في دراسة أسئلة الفلسفة وعلم اللاهوت] التي كان القديس "آلبير الكبير" (Albertus Magnus) من روادها حينذاك. ولعل من أكبر المفكرين العرب الذين أثروا في توجيه الفكر الأوروبي أبو حامد الغزالي الذي ساقته مغامراته في فلسفة أرسطو وتفكيره العقلاني، إلى النزوع إلى الشك والتأمل والتصوف. وقد تُرجمت دراساته المتعلقة بالمنطق والفيزياء و"ما بعد الطبيعة" إلى اللاتينية في القرن 12 م في طُليطلة. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

وقد وصلت الفلسفة الإسلامية إلى قمة تطورها في اسبانيا على يد ابن رشد (Averroes) الذي بدت فلسفته متناقضة فيما يتعلق بتأثيرها بين الشرق والغرب؛ فبينما دخلت في أعماق الفكر الأوروبي في القرون الوسطى، لم تَحْظَ بنفس القبول في العالم الإسلامي بل اتهم بالإلحاد من قبل الفقهاء المسلمين، فنفاه المنصور أمير الموحدين إلى مراكش واحرق بعض كتبه ثم رضي عنه لاحقا. مع ذلك، اعتبره أتباع الفلسفة الإنسانية "هيومانيست"، في الغرب، اكبر شارح لأرسطو في التاريخ، واعتبرت أعماله في علم النفس والمنطق والفقه، كأرفع إسهام في ثقافة القرون الوسطى.

ويبدو تأثير ابن رشد على آراء القديس "توما الأكويني" (T. Aquinas) واضحا، بالرغم من تقليل هذا الكاهن من شأنه، فقد ألف القديس "توما" كتبه بعد أن شاعت بين الرهبان دروس فلاسفة المسلمين في الأندلس والمشرق، ولم يكن في كل ما كتب في الله والروح ووسائل الوصول إلى الحقيقة، رأي واحد لم يتناوله قبله ابن سينا والغزالي وابن رشد على الخصوص. فقد تأثر بأفكاره الهادفة إلى استعمال المذاهب الفلسفية كأدوات لدعم الدين، وهي الفكرة التي سيطرت على عقل هذا القديس وأَتَتْهُ من أستاذه "آلبير الكبير"، وكذا بترجمات ميشال سكوت (M. Scot) التي قام بها في طليطلة قبل سنوات من مولد القديس "توما". وبالرغم من محاربة الكنيسة لتفاسير ابن رشد فقد أوصى أساتذة جامعة باريس طلابهم بدراستها . **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

ولم يقتصر تأثير العرب على أوروبا على ميدان العلوم بل تعداه إلى الأخلاق. فقد تبدلت عادات الأوروبيين وتغيرت **سلوكياتهم** بعد احتكاكهم بالمسلمين إبان الحروب الصليبية. فقد عرف الأوروبيون بأن المسلمين مؤمنون ولهم صلة وثيقة بالمسيح، وبأن الإسلام ليس بعيدا عن الإرث المسيحي واليهودي الذي عرف به الأوربيون. وباختلاط الفرنجة بمسلمي وعرب الشرق، بات الفرنجة أكثر إنسانية من أبائهم وأجدادهم الذين رافقوا بطرس الراهب (أشهر دعاة الحملة الصليبية الأولى)، وأن الإقامة في الشرق وسيلة من وسائل تهذيبهم. وقد أصبحت الارستقراطية الغربية تعتقد بأن خير وسيلة لتربية أبنائها إرسالهم إلى الشرق. ولعل أرقى القيم الأخلاقية التي حملها العرب المسلمون إلى أوروبا في القرون الوسطى هي التسامح الديني والمجتمعات المتعددة الديانات؛ ذلك أن الغرب تعرف لأول مرة على المجتمعات المختلطة بوساطة إسلام اسبانيا وصقلية والمشرق، حيث أعطى المسلمون في تلك البلاد أمثولة للانفتاح وللتعايش مع مخالفيهم في العقيدة، وأقاموا دولا عاشت قرونا تعايشت فيها طوائف مختلفة، وتعاونت على خلق مجتمعات سادها العدل واحترام الحق، مما لم يكن له وجود في بلدان أوربا المسيحية. وقد حاول ملك فرنسا هنري الرابع تقليد أنموذج التسامح الإسلامي بعد انتهاء الحروب الدينية في القرن 16 م، فأعطى البروتستانت في مملكته بمقتضى مرسوم نانت (Nante) بعض الحقوق، ما لبث أن ألغاها لويس الرابع عشر بعد قرن من الزمن، فعاد الاضطهاد الديني وبقي حتى قيام الثورة الفرنسية. إن هذا التطور الاجتماعي الذي حمله المسلمون وطبقوه منذ إقامة ملكهم في اسبانيا وصقلية في القرنين الثامن والتاسع، لم تطبقه أوروبا إلا بعد الثورة الفرنسية في نهاية القرن 18 م؛ أي بعد تطبيقه من قبل المسلمين بألف عام. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

وفي مجال **اللغة** تغلغلت مفردات عربية كثيرة في لغات العالم الغربي منها: الجبر والكيمياء والصفر والعنبر والأميرال والقطن والليمون والسكر والياسمين والصوفا والبرقوق ... وغيرها. كما أن آلاف الكلمات التي دخلت اللغتين الاسبانية والبرتغالية، احتفظت بجرسها العربي مثل: القاضي والمخدة والزيتونة والمعصرة والوادي الكبير والناعورة ووادي الحجارة ... وغيرها. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

ولم يقتصر الأوروبيون على نقل علوم العرب، بل أخذوا **أنظمة المؤسسات** المختلفة والجامعات؛ فقد تأسست في مدن الأندلس معاهد كبرى يمكن مقارنتها بجامعاتنا حاليا. ولا شك أنها

النماذج التي قلدتها أوربا عندما أسست جامعاتها؛ إذْ كان في كل من قرطبة واشبيلية ومالاقا وغرناطة جامعات تضم مختلف أقسام العلم، وقد تدفق عليها طلاب من اسبانيا وأوربا وإفريقيا وآسيا، لأن أقدم الجامعات الأوربية، وهي أكسفورد وكامبريدج وباريس وبادوفا، لم تؤسس إلا في العقود الأولى من القرن 13 م؛ أي بعد تأسيس الجامعات العربية بعدة قرون. كما أن وجود كتب بين أيدي طلاب أوربا ما كان ليحصل، لولا وجود صناعة الورق وهي أفضل هدية قدمها العرب لأوربا؛ فمن مراكش، حيث دخلت صناعة الورق لأول مرة، انتقلت إلى اسبانيا في منتصف القرن 18 م ومنها إلى ايطاليا على يد مسلمي صقلية عام 1270 م، ومنها انتشرت في كامل أوربا. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

ونقل الغرب عن المسلمين في حقل **الأدب**. فقد كان الشعر العربي عامة والغزلي خاصة، موضع إعجاب المسيحيين الأسبان الذين تأثروا به حتى بدت سماته واضحة على الشعر الشعبي القشتالي المستعمل في التراتيل المسيحية. كما ظهرت في الأدب الاسباني شعر الهيام على طريقة مجنون ليلى. كما قلد المغنون الجوالون الأوربيون الزَّجل الأندلسي في أغانيهم. ولا يتسع المجال للكلام عن أثر ألف ليلة وليلة على الأدب العاطفي الغربي؛ فقد خلفت ملامحها على أعمال جيوفاني بوكاشيو (G. Boccaccio) الايطالي، وعلى إنتاج تشوسر (Chaucer) الانجليزي في القرن 14 م. ومما لا شك فيه أن رائعة دانتي آليغري (Dante Alehgieri) "الكوميديا الإلهية"، قد استقت مادتها من منابع إسلامية، وعلى ذلك، فإن أدب عصر النهضة الأوربي مَدِين بنسيج قصائده الخالدة للصوفية الإسلامية. **(الشطي 2023: الحضارة العربية الإسلامية)**

قائمة المراجع:

* هونكه (زيغريد)، شمس العرب تسطع على الغرب؛ أثر الحضارة العربية في أوروبا، ط5، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981 .

* غوستاف (لوبون)، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013.

* الشطي (أحمد إياد)، الحضارة العربية الإسلامية؛ من الاقتباس إلى الأصالة والإبداع والعالمية. مقال نشر بتاريخ: 6 أفريل 2023 متوفر على الموقع: https://educ.el-emarat.com

* المنجد في اللغة والأعلام، ط 27، منشورات دار المشرق، بيروت، لبنان، 1984.

* المنياوي (أحمد)، أشهر مدن العالم القديم، ط1، دار الكتاب العربي، حلب، سوريا، 2010.

* الشويخات (أحمد)، الموسوعة العلمية العربية، 2004.

* بوعزيز (يحي)، مع تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

* اليوسف (عبد القادر أحمد)، علاقات بين الشرق والغرب، المكتبة العصرية، القاهرة، 1969.

* يحياوي (عبد القادر)، تاريخ العالم المعاصر، الديوان الوطني للمطبوعات، الجزائر، دون تاريخ.

* مؤلف مجهول، مصادر الحضارة الإسلامية، مقال متوافر على الرابط (دون تاريخ نشر):

www.univ-emir.constantine.edu.dz

* عمراوي (جواد)، الحضارة الإسلامية، شهادة ماجستير علاقات دولية، جامعة الحرة الأهواز، إيران، دون تاريخ. متوفر على الموقع : www.taghrib.org.article

* ملكاوي (أسماء)، حالة العالم الإسلامي؛ أرقام ومؤشرات، مقال نشر بتاريخ:2004 .10 .30 ، متوافر على الموقع: https:www.aljazeera.net